الفصل الثالث

الحرية عند الإمام النورسي

obeikandl.com

المبحث الأول

الحرية عند النورسي

ويتضمن على ما يلي:-

- الحرية لغة.
- مفهوم الحرية عند النورسي.
- مشروطية وحرية شرعيتان.
- الحرية الشرعية بمفهوم الحسناء.
- النورسي في مدرسة الحرية.
- النورسي يخاطب الحرية.

obeikandl.com

الحرية عند النورسي

الحرية لغة:

جاء في المعجم الوجيز كلمة الحر " بضم الحاء " بمعنى الخالص من الشوائب والخالص من الرق- أي أن الحر ضد العبد – والحر بمعنى الكريم.

والحر من القول أو الفعل أي الحسن منه. يقال: هذا من حر الكلام

والحرة: خلاف الأمة...

ومذهب الحرية " في الاقتصاد " مذهب يرمي إلى إعفاء التجارة الدولية من القيود والرسوم[1]

(١) المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية،باب الحاء مع الراء، ص١٤٤، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٩٥م.

مفهوم الحرية عند النورسي

منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض لم يجد مشكلة من المشاكل حارت لها العقول والأفهام قدر ما حارت أمام مشكلة الحرية.

فالحرية استرعت الأسماع، واجتذبت القلوب، وفتحت باب الأمل، وعززت مطالب المظلومين، ونصرت حقوق المهضومين ٠

وهي إحدى القيم الإنسانية الكبرى، والمطالب العظمى، ودعامة هامة من دعائم الشخصية وأساس للحساب والجزاء، ومصدر الاستقرار والطمأنينة والتقدم والرقي والمحبة والأخوة والتضامن، والإنسان بلا شك لا يتذوق طعم الحياة إلا إذا كان حراً طليقاً، وتصح المقولة: " يبقى الإنسان حياً مادام حراً ".

" والحرية منطبعة في قلب الإنسان من أصل الفطرة" [١] وقد غرس بذرتها الأولى رب العالمين في فطرة الإنسان، وقدستها الشرائع والأديان، وأنتصر لها الأبطال والمجاهدون والمصلحون واستحوذت على جل اهتمامهم، فنادوا بها جميعاً وبشكل نصي صريح مباشر، لأنهم رأوا أنها من أهم الأمور التي تطالب بها صيحات قلوب الشعوب، وهم في مقدمه من يطلبونها ويرغبون في تواجدها وترسيخ أسسها، لأن الحرية هي مفتاح الإصلاح والتجديد والتغيير واستعادة القوة وعدم الخضوع للغير.

لهذا فإن الزعماء الإصلاحيين رأوا أن الحرية هي نقطة الانطلاق للتنظيم الاجتماعي المرغوب فيه لدواعي الفعالية ٠

" بل وهي قلب هذا الثالوث المتصل: القدرة على مجابهة الغرب، وإعادة التشكيل الاجتماعي، وإعادة تفسير تعاليم الشريعة " [٢]

---

(١) د/ عزت قرني: العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة، ص٧، سلسة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٨٠م.

(٢) د/ عزت قرني: العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة، سلسة عالم المعرفة، ص١٥.

ولكن نلحظ أنه على الرغم من توافق رؤى الزعماء في كل وقت وحين على ترسيخ الحرية وأسسها ونضالهم من اجلها، إلا أنهم تباينوا في تصوراتهم لمفهوم الحرية تبايناً قريباً وليس بعيداً.

فإذا بدأنا " **برفاعة الطهطاوي**": (١٨٠١م-١٨٧٣م) نراه يسجل في كتابه (تلخيص الإبريز في تلخيص باريز) مفهومه للحرية، فيقول:

" وما يسمونه الحرية " في فرنسا " ويرغبون فيه، هو عين ما يطلق عليه عندنا العدل والإنصاف، وذلك لأن معنى الحكم بالحرية هو إقامة التساوي في الأحكام والقوانين بحيث لا يجور الحاكم على إنسان، بل القوانين هي المحكمة والمعتبرة "[١]

وهنا يتبن لنا أن مفهوم الحرية لدى " رفاعة " هو مفهوم سياسي أراد من خلاله بيان أن ما هو موجود من حرية في الغرب له أسس ومفاهيم إسلامية عندنا .

ويؤكد رفاعة في موضع آخر، أن الحرية راسخة ومتأصلة ومنطبعة في طباع العرب فيقول: " وأما الحرية التي تتطلبها الإفرنج دائماً، فكانت من طباع العرب في قديم الزمان، كما تنطق به المفاخرة التي وقعت بين النعمان بن المنذر ملك العرب وكسري ملك الفرس "[٢]

أما مفهوم الحرية عند " **خير الدين التونسي** ": (١٨٢٥م-١٨٨٩م) وهو رجل الفكر السياسي فإن كلامه حول مفهوم الحرية شيئان مرتبطان:

الأول والأهم: هو نقل نظم الحرية الأوربية .

والثاني: وهو الوسيلة، ومحاولة بيان أن كل هذه النظم وما يتصل بها من مفاهيم قد وجد في الإسلام، ولها مقابل في الشريعة، ولكنها لم تطبق إلا نادراً، ولم تحترم إلا لماماً.

فيقول في كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك: " لا يتيسر التقدم في المعارف

---

(١) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص٧. نقلاً من رفاعة الطهطاوي، تلخيص الأبريز في تلخيص باريز، ص٨٠.

(٢) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص٥٤، نقلاً من رفاعة الطهطاوي، تلخيص الأبريز، ص٢١٥.

وأسباب العمران بدون إجراء تنظيمات سياسية تناسب التنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا في التأسيس على دعامتي العدل والحرية اللذين هما أصلانِ في شريعتنا، ولا يخفى أنهما ملاك القوة والاستقامة في جميع الممالك "[١]

وهناك نص ثاني صريح لا يقل أهمية، حيث يبين فيه عن احتواء الشريعة الإسلامية على مباديء الحرية فيقول: " عند التأمل يثبت عندنا أن الأمة الإسلامية بمقتضى ما شهد به المنصفون من رجحان عقول أواسط عامتها على عقول غيرها من الأمم، تقتدر أن تكتسب ما بقى لها من تمدنها الأصلي...

وذلك أن الحرية والهمة الإنسانية اللتين هما منشأ كل صنع غريب، غريزتان في أهل الإسلام مستمدتان مما تكسبه شريعتهم من فنون التهذيب، بخلاف غيرهم ممن لم تحصل لهم الغريزتان المذكورتان إلا بأجراء التنظيمات في بلدانهم "[٢]

" وتمتليء مقدمة خير الدين التونسي بتكرار أن الشرع الإسلامي فيه صلاح الدين والدنيا جميعاً "[٣]

أما مفهوم الحرية عند " **جمال الدين الأفغاني** ": (١٨٣٨م – ١٨٩٧م) فإنه يتكلم أحياناً عن الحرية الشخصية "[٤]

وأحياناً يستخدم كلمة الحرية على أنها مقابل " السلوك على الطريقة الأوربية " بالمعنى السيئ لهذا التعبير، وذلك في سياق سلبي يحمل على إدانتها "[٥]

والواقع أن الحرية التي كان يقصدها " جمال الدين " عادة حين يستخدم هذه الكلمة لم

---

(١) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص٧، نقلاً من خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ص٨،٩.

(٢) د/ عزت قرني: العدالة والحرية: ص١٤٠، نقلاً من / خير الدين التونسي: أقوم المسالك، ص٤٤.

(٣) د/ عزت قرني: العدالة والحرية: ص١٢٢.

(٤) د/ عزت قرني: العدالة والحرية: ص٢٤٠ نقلاً من – جمال الدين الأفغاني: العروة الوثقى، ص٣٣.

(٥) د/ عزت قرني: العدالة والحرية: ص٢٤٠، نقلاً من – جمال الدين الأفغاني: الرد على الدهرين، ص٧١.

تكن الحرية الشخصية فقط، بل والحرية القومية، حيث يقول في واحد من أوضح أقواله بشأن الحرية:

" إذا صح أن من الأشياء ما ليس يوهب، فأهم هذه الأشياء الحرية والاستقلال، لأن الحرية الحقيقية لا يهبها الملك والمسيطر للأمة عن طيب خاطر، والاستقلال كذلك •

بل هاتان النعمتان إنما حصلت عليهما الأمم أخذاً بقوة واقتدار •

وهكذا نراه يقرن الحرية والاستقلال وكأنهما شيء واحد مرتبطان •

" ويمكنك أن تقول أن مفهوم الحرية التي يقصدها الأفغاني ربما كانت الترجمة العصرية للمفهوم الإسلامي الخاص " بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ".

وهو يعني عنده المشاركة الإيجابية للمؤمن في شئون الأمة الإسلامية "[1]

أما مفهوم الحرية عند النورسي: فأنه تلامس في كثير من جوانبه مع مفهوم الحرية عند المفكرين والزعماء الإصلاحيين المسلمين.

ومن أهم جوانب هذا الالتقاء والتلامس، هو مفهومهم للحرية بأنها الحياة العزيزة الموافقة للشريعة، أي المبنية على أساس مرتكزات ومبادئ الدين الإسلامي

ولعل هذه هي جوهر هذا التلامس.

والقاريء لرسائل النور يستطيع أن يتوصل لمفهوم الحرية الذي يدور في خلد ووجدان النورسي•

حيث نرى أن مفهوم الحرية عند النورسي قائم على الحرية المشروطة في ضوء الشريعة فيقول عنها بأنها هي: " الحرية الشرعية التي ترشد البشرية إلى سبل التسابق والمنافسة الحقة نحو المعالي والمقاصد السامية، والتي تمزق أنواع الاستبداد وتشتتها، والتي تهيج المشاعر الرفيعة لدى الإنسان، تلك المشاعر المجهزة بأنماط من الأحاسيس كالمنافسة والغبطة

(١) د/ عزت قرني: العدالة والحرية: ص٢٤٣، ٢٤٤، نقلاً من – جمال الدين الأفغاني، العروة الوثقى، ص١١٠.

والتيقظ التام والميل إلى التجدد والنزوع إلى التحضر ٠

فهذه " الحرية الشرعية" تعني: التحلي بأسمى ما يليق بالإنسانية من درجات الكمال والتشوق والتطلع إليها "[١]

فالنورسي يبين أن الحرية في إطارها الشرعي هي القوة الثالثة من بين القوى الخمسة التي يذكرها في "صيقل الإسلام" والتي ستدفع بالإسلام إلى الرقي والتحضر، وتجعله يسود المستقبل مادياً ومعنوياً ويمزق الاستبداد ٠

ثم يبين أن الحرية الشرعية هدية رحمانية فيقول: " نعم، إن الحرية الشرعية عطية الرحمن وتجل من تجليات الخالق الرحمن الرحيم، وهي خاصة من خصائص الإيمان "[٢] إذاً فالحرية في مفهوم النورسي والتي يريد تأصيلها هي: " الحرية الإنسانية الساطعة كالشمس وهي معشوقة كل روح، وصنو وجوهر الإنسانية، وما هي إلا التي تربعت على قصر سعادة

المدنية، وتزينت بحلل المعرفة، وحلى الفضيلة والتربية الإسلامية "[٣]

ومما سبق يتضح أن مفهوم الحرية عند النورسي في إطارها الشرعي هي ضمان لعزة الإنسان ووقاره وكرامته، وهي معيار الرقي الحضاري للإنسان.

كما أن الشريعة الإلهية هي التي تضمن الحرية الحقة لجميع الناس، لأنها من لدن حكيم خبير.

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٠٠.

(٢) بديع الزمان النورس: صيقل الإسلام، ص٥١٤.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٤.

" مشروطية " و " حرية " شرعيتان

بعدما رأى النورسي أن أصحاب الأفكار الفاسدة تلبسوا بغطاء الحرية، ثم ازدياد نفوذهم ودعوتهم إلى المشروطية (أي إعلان النظام البرلماني) [١] في إطار غربي وتشويههم لصورة المشروطية الشرعية، وإظهارهم للشرعية أنها مصدر الاستبداد والظلم، لم يقف النورسي مكتوف الأيدي، بل تصدي لهم لتصحيح مفاهيمهم المغلوطة عن الحرية، ولكي يبين المفهوم الحقيقي للحرية وللمشروطية في إطارها الشرعي، فنراه يقول في " صيقل الإسلام ":

إنني عارضت شعبة – الإتحاد والترقي – المستبدة هنا، تلك التي أذهبت شوق الجميع وأطارت بنشوتهم، وأيقظت عروق النفاق والتحيز وسببت التفرقة بين الناس، وأوجدت الفرق والأحزاب القومية، وتسمت بالمشروطية، بينما مثلت الاستبداد في الحقيقة، بل حتى لطخت اسم الإتحاد والترقي...

ولكن لأنني قد عاهدت المشروطية الحقيقية المشروعة، سأصفع الاستبداد إن قابلته في أي لباس كان، حتى لو كان لابساً ملابس المشروطية أو تقلد أسمها ٠

وفي اعتقادي أن أعداء المشروطية هم أولئك الذين يشوهون صورتها بإظهارها مخالفة للشريعة، وأنها ظالمة، فيكثرون بهذا أعداء الشورى أيضاً " [٢]

وبعد هجومه على أصحاب الإتحاد والترقي يؤكد النورسي: على " أن المشروطية إن كانت تعني مخالفة الشريعة واستبداد جماعة معينة، فليشهد الثقلان أنى مرتجع، ذلك لأن الإتحاد القائم على الكذب كذب أيضا، والمشروطية القائمة على أسس فاسدة ومفسدة، مشروطية فاسدة ٠

إذ المشروطية الحقة التي لها الدوام والبقاء هي المشروطية القائمة على الحق وعلى الصدق وعلى المحبة وعلى أساس عدم الامتيازات " [٣]

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، أنظر فهرس ص٨١.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٥٢، ٤٥٣.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٥٤.

ثم ينتقل النورسي لكي يبين مفهوم المشروطية وماهيتها، فيقول:

" المشروطية: مجلي وتفسير لآيتي { وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ }[1] { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ }[2] فهي المشورة الشرعية.. فقوة ذلك الوجود المنور هي الحق... وحياته هي العدالة... وقلبه هي المعرفة.. ولسانه هي المحبة... وعقله هو القانون لا الشخص..

إن روح المشروطية أن تكون القوة في القانون، والأمر والنهي في يد الحق والمرء خادماً..

إذ المشروطية هي حاكمية الأمة "[3]

ويكشف النورسي " أن أصحاب الأفكار الفاسدة يريدون الاستبداد والمظالم تحت ستار الحرية فلأجل ألا نشاهد مرة أخرى تلك الاستبدادات التي دفنت في حفر الماضي، ولا تلك المظالم التي جرت في سيل الزمان، أريد أن أقيم سداً حديدياً بين الماضي والحاضر وذلك بإيضاح تاريخ حياة الحرية وهي كالآتي:-

إن هذا الانقلاب لو أعطى الحرية التي أولدها إلى أحضان الشورى الشرعية لتربيتها، فستبعث أمجاد الماضي لهذه الأمة قوية حاكمة .

بينما لو صادفت تلك الحرية الأغراض الشخصية، فستنقلب إلى استبداد مطلق، فتموت تلك المولودة في مهدها "[4]

ولكي لا تموت تلك الحرية المولودة في مهدها، أرتضى النورسي لنفسه المشروطية في ضوء الشريعة، وجاهد من أجل أن يخلصها من التلوث، فيقول:

" فأنا أنشر اليوم ذلك الخطاب لأنقذ المشروطية من التلوث، وأنجي أهل الشريعة من اليأس وأخلص أبناء العصر من وصم الجهل والجنون، وأنتشل الحقيقة من الأوهام

---

(١) سورة آل عمران: آية رقم (١٥٩)

(٢) سورة الشورى: آية رقم (٣٨).

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٨١.

(٤) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٨١،٨٢.

والشبهات "[١]

ويصرح النورسي أن سعيه لترسيخ الحرية المشروطة بالشريعة أو الشورى، وحبه لها لأنها مفتاح للتقدم، فيقول: " إن سبب افتتاني بمحبة معنى المشروطية هو أن المدخل الأول لتقدم آسيا والعالم الإسلامي في المستقبل هو المشروطية المشروعة والحرية، التي هي ضمن نطاق الشريعة، وأن مفتاح حظ الإسلام وسعده ورقيه موجود في الشورى التي في المشروطية...

فلتعش المشروطية المشروعة... ولتدم الحرية النيرة المسترشدة بتربية حقيقية الشريعة"[٢]

ويبين النورسي " أن المسلك الحقيقي للشريعة، إنما هو حقيقة المشروطية المشروعة..

بمعنى. أنني رضيت بالمشروطية بالدلائل الشرعية، وليس كما رضي بها بعض دعاة المدنية الغربية، إذ قبلوها تقليداً وفهموها خلافاً للشريعة..

لذا فلم أتنازل عن الشريعة ولم أعطها أتاوة لشيء "[٣].

ويرى النورسي أن السبب وراء تصور دعاة الحرية، ومفهومهم أن الشريعة مؤيدة للاستبداد ومناهضة للمشروطية هو أتباعهم للتصور والظن الأوربي عن الشريعة، فيقول:

" إن أوربا تظن الشريعة هي التي تمد الاستبداد بالقوة وتعينه، حاش وكلا.. إن الجهل والتعصب المتفشيان فينا قد ساعدا أوروبا لتحمل ظناً خاطئاً من أن الشريعة تعين الاستبداد •

لذا تألمت كثيراً من أعماق قلبي على ظنهم السيئ بالشريعة، فكما أنني أُكذب ظنهم فقد رحبت بالمشروطية باسم الشريعة قبل أي شخص..

لذا صرخت من أعماقي.... وقلت: " أفهموا المشروطية في ضوء المشروعية وتلقوها

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ٤٤٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٦٢.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٤٢ • وأنظر – سيرة ذاتية، ص٨٢.

على أساسها، ولقنوها الآخرين على هذه الصورة كي لا تلوثها اليد القذرة لاستبداد جديد متستر وملحد، باتخاذ ذلك الشيء الطيب المبارك ترساً لأغراضه الشخصية.

قيدوا الحرية بآداب الشرع لأن عوام الناس والجاهلين يصبحون سفهاء وعصاة وقطاع طرق، فلا يطيعون بعد أن ظلوا أحراراً سائبين بلا قيد وشرط "[1]

ويفسر النورسي سر ربطة للحرية بالشريعة فيقول: " إنني طالب شريعة، لذا أزن كل شيء بميزان الشريعة، فالإسلام وحده هو ملتي، لذا أقيم كل شيء وأنظر إليه بمنظار الإسلام "[2]

ومن خلال ما سبق يتضح أن " إعلان المشروطية (١٩٠٨م) كان نقطة الانطلاق لفك أغلال الحرية من عقالها وإطلاق الحريات على أثرها.

وكما ذكر النورسي في مقدمة " المناظرات بصيقل الإسلام " أنه نتج عقب إعلان المشروطية عن تباين "وجهات نظر الناس عامة، والمثقفين خاصة حول " المشروطية" إذ بدأت الفئات المختلفة

تفسر " الحرية " بالشكل الذي يروق لها ٠

فبينما اندفعت فئة في تأييد المشروطية ومناصرتها بشدة بغية جرها لأغراض سياسية واجتماعية وصولاً إلى مآربهم في تقويض الدولة العثمانية.

إذا بآخرين يتوجسون خيفة من هذا الانقلاب الذي حدث في نظام الدولة ٠

وفي الوقت نفسه وقف آخرون مبهوتين لا يتقدمون خطوة ولا يتأخرون.

بينما صفق لها غيرهم من المفتونين بحضارة أوروبا، المبهورين ببريقها...

وهكذا اختلفت الآراء...

أما بديع الزمان سعيد النورسي فقد سلك مسلك الاعتدال، مسترشداً بالنهج

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٤٣، ٤٤٠.، وأنظر - سيرة ذاتية، ص٨٣.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٣٩.

الإسلامي السالم من التعصب الذميم الذي يعيق كل تجدد، والمبرأ عن اللهاث وراء الغرب وتقليده تقليداً أعمى فناصر مفهوم " الحرية " و " الشورى " ضمن ما هو واضح في الإسلام، ودافع عن المشروطية المحددة بحدود الشرع، فكتب مقالات عديدة في الصحف... وألقى كثيراً من الخطب في الاجتماعات التي عقدت في الميادين العامة والجوامع، مبيناً مفهوم الحرية والشورى في ضوء الإسلام ٠

وكان جل اهتمامه منصباً في تحطيم قيود اليأس، وكسر أغلال القنوط التي كبلت الناس وكان يحاول جهده أن يشعل بصيص الأمل وبريق الرجاء في نفوسهم، فضلاً عن وضعه لهم موازين شرعية ومنطقية لوزن الأحداث المستحدثة بعقلية إيمانية متوازنة هادئة بعيدة قدر الإمكان عن الانفعالات وردود الأفعال "[١]

ويبين النورسي أن ما يلاقيه الإنسان من ضرر وعناء من أجل إرساء الحرية، فهو فداء لمنح الحرية لملايين المسلمين، فيقول: " إن الحرية هي العلاج الوحيد لإنقاذ ثلاثمائة مليوناً من المسلمين من الأسر، فحتي لو تضرر هنا – بفرض محال – عشرون مليوناً من الناس في أثناء إرساء الحرية، فليكن ذلك فداء، إذ نأخذ ثلاثمائة بدفع عشرين "[٢]

ومن هنا يتبين لنا أن النورسي يرى أن بداية طريق الحرية الحقة هو السير نحو ترسيخ مفهوم الشورى الإسلامية في إطار المشروطية الشرعية كبديل للمشروطية بمفهومها الغربي ٠

كما نلحظ أن النورسي يرى أن المفاهيم الإسلامية كفيلة بحل مشكلاتنا، وبالتالي فأنه ينطلق من الثوابت الإسلامية لمواجهة الأحداث والمتغيرات الجارية في عصره.

كما نلحظ أن النورسي يلتقي في الكثير من السمات المشتركة مع الزعماء الإصلاحيين في

العالم الإسلامي، حيث كان مطلبهم جمعياً إرساء قواعد الحرية وتحقيقها واقعاً عملياً،

---

(١) بديع الزمان ألنورسي: صيقل الإسلام، المناظرات، ص٣٧٧،٣٧٨.

(٢) بديع الزمان ألنورسي: سيرة ذاتية، ص٨٣..

وترسيخ مفهوم الشورى وتطبيقها وممارستها لأنها بوابة الحريات، وخاصة الحرية السياسية.

فالنورسي يلتقي مع الطهطاوي والأفغاني والكواكبي وأديب أسحق وخير الدين التونسي وغيرهم من المصلحين في رفعهم للاستبداد، لأنه عائق للتقدم، وضد رضاء الأمة والإنسانية ٠

وفي المقابل سعيهم وجهادهم ودعوتهم للحرية.

ويتلاقى النورسي مع الزعماء الإصلاحيين المسلمين الذين يدعون للحرية وفي مقدمتهم الأفغاني على تأسيس الحرية في إطار الشريعة.

كما يتلاقى مع القائلين بأن الحرية لها أصول في الشريعة الإسلامية، وفي مقدمتهم الطهطاوي وخير الدين التونسي والكواكي.

كما يتلاقى النورسي مع جميع المفكرين والإصلاحيين الإسلاميين بأن الحرية هي العلاج للأمة، وسبب للسعادة والتمدن والرقي الحضاري.

ويتلاقى هجوم النورسي مع هجوم الأفغاني على دعاة الحرية على الطراز الغربي ٠

فإن العروة الوثقى " للأفغاني " تهاجم حتي المدارس التي شيدت على النمط الجديد (الغربي) والبعثات التي أرسلها المصريون والعثمانيون إلى أوروبا... وتقول عن هؤلاء الذين درسوا على الطريقة الجديدة (الغربية) أنهم لم ينفعوا بلادهم بشيء، ولا أنقذوها من الفقر أو الاعتداء ولا وجدت فيهم قلوب مازجتها روح الحياة الوطنية ٠

ثم تستطرد الجريدة: " نعم، وجد بينهم أفراد يتفيقهون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها، ويصوغونها في عبارات متقطعة بتراء لا تعرف غايتها ولا تعلم بدايتها، وسموا أنفسهم زعماء الحرية، أو بأسماء أخرى على حسب ما يختارون، ووقفوا عند هذا الحد.....

وهكذا فإن " الحرية " في كل هذه المواقع شيء أقرب إلى المفهوم السيئ "[١]

والمفهوم السيئ الذي يقصده الأفغاني والنورسي عن الحرية يعنى: الحرية المجردة من الشورى والتهذيب والفضيلة وتعتدي على حريات الآخرين ٠

وهذا ما أشار إليه النورسي في رفضه لمفهوم الحرية بالتصور الغربي عند دعاة المدنية الغربية والتى تعنى التحرر ٠

ونلحظ من خلال عرضنا لمفهوم الحرية عند بعض الزعماء الإصلاحيين، أن الله رزقهم قدراً كبيراً من الشجاعة، وقدراً عظيماً من الجسارة ٠

كما تتجلى عظمتهم في أنهم قالوا بالحرية ونادوا بها وحددوا مفهومها وهم يعيشون تحت حكم الطغيان السافر، وقالوا بأشياء لا يقول بها الآن من يعيشون في بعض أقطارنا التي تسمح بحرية القول رسمياً ٠

ونلمس أن في طليعة العظماء الإصلاحيين والذين أتسموا بجسارة كبيرة هو النورسي ونستطيع أن نلحظ ذلك من خلال ما قاله " عبد الرحمن الرافعي" عن اضطهاد "عباس الأول " للطهطاوي بسبب أرائه عن الحرية في كتابه " تخليص الأبريز"، فيقول:

" إذ لا يخفى أنه طبع للمرة الثانية (أي تخليص الأبريز) سنة (١٨٤٩م) أي في أوائل عهد " عباس باشا "، والكتاب يحوى آراء ومباديء لا يرغب فيها الحاكم المستبد، وعباس باشا الأول كان في طبعه مستبداً غشوماً، فلابد أن الوشاة قد لفتوا نظره إلى ما في كتاب "رفاعة بك " مما لا يروق لعباس، فرأى أن يبعده إلى الخرطوم ليكون السودان منفي له ٠

ولا غرابة في ذلك، فلو أن هذا الكتاب ظهر في تركيا على عهد السلطان " عبد الحميد " لكان من المحقق أن يكون سبباً في هلاك صاحبه "[٢]

---

(١) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص٢٤٢. – نقلاً عن– جمال الدين الأفغاني: العروة الوثقى، ص٦٩.

(٢) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص٦٠ – نقلاً عن – عبد الرحمن الرافعي: "عصر محمد على "،ص٥١٨ الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٥١م.

وهنا نلحظ أن المفكرين والمصلحين الإسلاميين لحق بهم ضرر كبير في دعوتهم للحرية وتحديد مفهومها ٠

كما ندرك عظمة النورسي الذي نادى بالحرية وواجه دعاة التغريب، وحدد الحرية في إطار مفهومها الشرعي، في عصر ساد فيه الظلم والاستبداد، وغابت فيه الحريات ٠

بل إن من يكتب عن الحرية أو يتلفظ بها فإن نتيجة ذلك " كما يقول عبد الرحمن الرافعي " سيكون سبب لهلاك صاحبه..

وهذا يبين لنا أن النورسي كان يسبح في بحر ثائر يموج بالأعاصير المستبدة، ويمشي على أرض كلها أشواك ٠

ولكن دفاعه عن محبوبته الحرية، التي هي منطبعة في أصل فطرة الإنسان، كان سلوانه.

obeikandl.com

الحرية الشرعية بمفهوم الحسناء

يطلق النورسي صيحاته وتحذيراته من مغبة إطلاق الزمام للنوازع باسم الحرية، " فبعد أن صفق الطرفان (المؤمن والملحد على السواء) لمباديء الدستور عن الحرية، جاء فهم الطرفين المؤمن والملحد لمعنى الحرية متبايناً، بل ومتعاكساً تماماً إزاء عملية تمثل الحرية وممارستها كما أعرب عنها كل من الجانبين ٠

حيث رأى المصلحون أن الحرية اتزان والتزام بالفضيلة وانصياع لروح الشرع ٠

أما الملاحدة وأتباع أوروبا فرأوا أن الحرية تحلل من الأحكام المسبقة، وخروج عما لا تتكيف معه النفس، وجنوح بالشخصية نحو مواطن هواها، وهذا يمثل الترجمة الحق لمعنى الحرية عندهم، فأوردوها موارد الامتهان.

ومن الواضح أن هؤلاء فهموا الحرية فهماً فوضوياً لا يقيم حساباً لغير الذات والأهواء الفردية ويرتقي بقيم الانحراف والشذوذ " [١]

لذا كان النورسي يحذر من مغبة إطلاق الزمام للنوازع باسم الحرية، لأن نتاج ذلك هو انعدام إنسانية الإنسان، فسعى لوقف نزيف إهدار مكارم الأخلاق بتعديل الفهم وترشيد الافهام وضبط الدوافع بضوابط الشريعة، فيقول:

" قيدوا الحرية بآداب الشرع لأن عوام الناس والجاهلين يصبحون سفهاء وعصاة وقطاع طرق، فلا يطيعون بعد أن ظلوا أحراراً سائبين بلا قيد " [٢]

وكان النورسي يخاطب كتاب الصحافة الذين ينشرون ويكتبون ما يُرسخ الانحلال الخلقي ويهين الفضيلة والذوق ٠

لذا راح يخاطب هؤلاء المتحللين بما يقيد من جموحهم، فيقول: " يا أرباب الصحف... على الأدباء أن يلتزموا بالآداب، وعليهم أن يتأدبوا بالآداب اللائقة بالإسلام " [٣]

---

(١) د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص٢٩٨.

(٢) بديع الزمان ألنورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٤٣،٤٤٤.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ٤٤٤.

وظل يهيب بأبناء وطنه أن يرتفعوا في فهمهم وتفسيرهم للحرية إلى مرتبة بناءه ونيرة وجديرة بأن تجعل منها شرطاً إنسانياً يليق بالاستخلاف، و يدفع بالأمة إلى وجهة التعمير والتنوير والطهارة والسعادة والتمدن، وأن الحرية هي طريق " الإتحاد، إتحاد القلوب والمحبة الموجهة للأمة كافة، وهي معدن السعادة والحرية، قد أنعمها المولى الكريم علينا مجاناً، بينما الأمم

الأخرى قد ظفروا بها بعد دفع الملايين من جواهر النفوس الغالية.

إن صدي الحرية والعدالة ينفخ نفخ إسرافيل فيبعث الحياة في مشاعرنا المدنية، وأمالنا الخامدة ورغباتنا القومية الرفيعة، وأخلاقنا الإسلامية الحميدة، حتى يرن صماخ الكرة الأرضية المجذوبة جذبة المولى، ويهيج الأمة جميعاً ويهزها هز المجذوب، وإياكم يا إخوان الوطن أن تقضوا عليها بالموت مرة أخرى بالسفاهات والإهمال في الدين.

إن القانون الأساس المؤسس على هذه الشريعة الغراء قد أصبح ملك الموت لقبض أرواح جميع الأفكار الفاسدة والأخلاق الرذيلة والدسائس الشيطانية والتزلفات الدنيئة ٠

فيا أخوة الوطن، لا تعيدوا لتلك الرذائل الحياة بالإسرافات ومخالفة الشريعة والملذات المحرمة، فلقد كنا إذن في القبر، وبليت عظامنا، والآن دخلنا في رحم الأم بإتحاد الأمة والمشروطية...، وسنكون في صف الأمم المتمدنة... سنركب مباشرةً القطار والمنطاد فنسبقهم بفراسخ وفراسخ، وذلك بما يسهل لنا هضم تلك الوسائل حقيقة الإسلام الجامعة للأخلاق الإسلامية والاستعداد الفطري الكامن فينا، وفيض الإيمان الذي نحمله، وشدة الجوع التي نشعر بها، فنسبقهم بأذنه تعالى كما كنا سابقين لهم في الماضي..

إنني أذكركم بما يأتي بفضل ما أناطت بي مهمة الطالب من وظيفة، وبشهادة التخرج من سلك الحرية:-

يا أبناء الوطن لا تفسروا الحرية تفسيراً سيئاً كي لا تفلت من أيديكم، ولا تختقونا بسقي الاستعباد السابق الفاسد في إناء آخر..

نعم لقد سقونا عبودية مسمومة جداً باستبداد أرهب وأشد...ذلك لأن الحرية إنما

تزدهر بمراعاة الأحكام الشرعية وآدابها، والتخلق بالأخلاق الفاضلة "[١]

ويتضح من خلال ما ذكره النورسي، أنه أراد أن يؤسس ويبرز نتاج الحرية المتأدبة بآداب الشرع، وما يمكن الحصول عليه من خلال الالتزام بالأخلاق الفاضلة، حيث أن محصلة ذلك هو الخير كله في الدنيا والآخرة ٠

وأن الإسراف في مفهوم الحرية الخاطيء على أنها الانحلال وحب الذات وغيرها... فإنها هي موبقات يجب الابتعاد عنها لأنها تؤدي إلى الرجوع بالاستبداد والتأخر ٠

" وواضح أن الحرية التي يريدها النورسي مناخاً تتنفس فيه الأمة، هي حرية القيم التي تتسامى بالروح، وتكفل لها النهج الذي يعطي لحياة المسلم معنى وبرنامجاً ناهضاً يعيد للفرد

حيويته وللأمة مجدها ٠

فهي حرية تلتزم بالدين، لأنه وسيلة رشادها والحافظة للإنسان من مغبة السقوط في الميوعة والخور، والوقوع بين براثن الرذيلة "[٢]

لذا وقف النورسي كثيراً أمام مفهوم الحرية لترسيخه، وبعدها توصل إلى أنه لا بد من التأطير والتأصيل لطبيعة الحرية الشرعية حتى يسهل على ممارسها كيفية الالتزام بمبادئها والتعامل والتعايش معها وتمثيلها، فأخذ يجوب المواقع والبلاد لكي يسقي بماء الحرية تلك الربوع العطشى ويزيل ما سيطر على عقول الناس من التباس لمفهوم الحرية..

" والآن نستفسر عن الحرية، فما هذه الحرية التي تتجاذبها التأويلات، وتتراءى فيها الرؤى العجيبة الغريبة ؟

يجيب النورسي فيقول: " إن من عاش مع طيفها منذ عشرين سنة حتى تعقبها في الرؤى وترك كل شيء لحبها يستطيع الإجابة عنها فهو الخبير بوصفها.

س:- لقد فسروا لنا " الحرية " تفسيراً خاطئاً سيئاً وكأن الإنسان مهما فعل – في كنف

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ٤٦٦، ٤٦٧.

(٢) د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ٣٠٠.

الحرية- من سفاهات ورذائل وفضائح لا يؤاخذ عليها ما دام لم يضربها الناس... هكذا أفهمونا الحرية أهي كذلك ؟

ج:- إن الذين فسروها هكذا، ما أعلنوا إلا عن سفاهاتهم ورذائلهم على رؤوس الأشهاد، فهم يهذرون، متذرعين كحجج واهية كالصبيان، لأن الحرية الحسناء ما هي إلا تلك المتأدبة بآداب الشريعة والمتزينة بفضائلها، وليست تلك التي في السفاهة والرذائل، بل تلك حيوانية وبهيمية وتسلط شيطاني، ووقوع في أسر النفس الأمارة بالسوء.

إن الحرية العامة هي المحصلة الناتجة من حريات الأفراد، ومن شأن الحرية عدم الإضرار سواء بالنفس أو بالآخرين.

على أن كمال الحرية، أن لا يتفرعن، وأن لا يستهزيء بحرية غيره، إن المراد حق، لكن المجاهدة ليست في سبيلها "[1].

س:- كم رأينا من لا يفسر الحرية كما تفسرها أنت، مع أن أفعال أعضاء من "جون تورك" تخالفك في التفسير وتناقض قولهم قولك، إذ أن بعضهم يُفطرون في رمضان ويشربون الخمر ويتركون الصلاة..، فهيهات أن يصدق مع الأمة من خان الله ولم يصدق في امتثال أمره تعالى ؟

ج:- أجل، نعم لكم الحق...

ولكن الحمية شيء والعمل شيء آخر، وعندي أن القلب أو الوجدان الذي لم يتزين بالفضائل الإسلامية لا ترجى منه الحمية الحقة والوفاء الصادق والعدالة الخالصة ٠

ولكن لأن الصنعة غير الفضيلة، فقد يقوم الفاسق برعي الأغنام رعياً جيداً، وقد يصلح شارب الخمر ساعة بإتقان حين لا يكون سكران ٠

لكن وأسفي على ندرة الذين جمعوا النورين معاً: نور القلب ونور الفكر ٠

أو بعبارة أخرى الفضيلة والصنعة، فهم نادرون لا يكفون لملء الوظائف، فإذاً إما

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، أنظر فهرس ص٣٩٣.

الصلاح وإما المهارة... وإذا تعارضا فالمهارة مرجحة في الصنعة •

وأعلموا كذلك أن السفهاء التاركين للصلاة ليسوا ب "جون تورك" بل هم "شين الترك" أي فاسدون، فهم روافض " جون تورك " مثلما لكل شيء روافضه، فروافض "الحرية" هم السفهاء.

أيها الأكراد والأتراك أنصفوا.. هل برفض الحديث الشريف وينكر إذا أوله الرافضي تأويلاً فاسداً أو عمل بخلافه، أم يخطأ الرافضي حفاظاً على منزلة الحديث الشريف وكرامته ؟ "[1]

ومن ثم فالنورسي يبين أن الحرية الشرعية هي طريق الاعتصام والإتحاد والمحبة والسعادة وشبهها بملك الموت الذي يقبض أرواح جميع الأفكار المنحلة والأخلاق الفاسدة التي تنافي منهج الإسلام وتخالف مفهوم الحرية الشرعية.

لذا يدعوهم من خلال إجابته على ما طُرح عليه من أسئلة بعدم تفسيرها وفهمها (أي الحرية) فهماً خاطئاً، لان ذلك سيعود بهم إلى الاستبداد، وسيتجرعون نتيجة ذلك الماء النتن للذل والاستعباد •

ثم يوضح النورسي أن الحرية الشرعية (بعد أن وضعها في قالب الحسن وطراز الجمال) التي يجب أن يتفهموها، هي الحرية الحسناء المتزينة بالفضائل، والمتربعة على عرش " كعرش بلقيس "[2]

وها هو النورسي يزف البشرى للأمة الإسلامية بأن الحرية الشرعية قد ولدت في الوقت المناسب بعد أن لقحها في رحم الحسناء المتزينة، ووضعها في حضانة الفضائل، ويهيب بهم أن يقوموا بتنشئتها وتربيتها على ثوابت الفطرة السليمة والأخلاق النبيلة، حيث " أن الحمية الإسلامية التي عانت سابقاً كثيراً من الضوائق والبؤس، وهي ليست أهلا لها، قد فارت فوراناً عظيماً بحيث اكتملت الحرية في ذلك الرحم، فحالما يحين وقت

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٢،٣٩٣.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٦٩.

الولادة وتظهر إلى الوجود ستعلن هيمنتها، فلا يتمكن أن يتصدى أو يزلزلها أي شيء "[١]

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٦٩.

obeikandl.com

النورسي يعشق الحرية وتواق إليها

الحرية قيمة من القيم الإنسانية السامية، وهي مبدأ أساسي يشعر الإنسان بوجوده، وبأن له هدف في هذه الحياة، وقد وهبها الله لسائر المخلوقات، غير أن إحساس الإنسان بها أقوى نظراً لأنه يملك إرادة العقل التي تنظم هذه القيمة وتضعها في إطارها السليم الذي حدده لها الشرع، والتي تصون حقوق الأفراد المستضعفين، وتحمي أعراضهم من الانتهاك، وحقوقهم من الضياع والاغتصاب "[1]

والنورسي كان يعشق الحرية ويقدر قيمتها لأنها شيء متأصل في ذاته، ومغروس في أصل خلقته ومولود بها .

ولهذا يذكر في " صيقل الإسلام" فيقول: " نحن معاشر البدو، نحن أحرار منذ القدم - فقد ولدت حريتنا توأما معنا "[2]

لهذا " كان سعيد النورسي (منذ أن ولدته أمه) يتضايق فطرة من أن يحدد شيء حركته ويقيد أسلوب حياته، ويرغب دائماً في أن يبقى حراً طليقاً في أطوار حياته وأسلوب معيشته بعيداً عن ضغوط الأوامر وأغلال القوانين الاستبدادية، فكان يردد دائماً:

" لا أحدد حريتي بأي قانون اعتباطي "

وقد شوهد منه هذا التوق إلى الحرية في صفحات حياته كلها، فلم يرضخ لقوانين الضلالة الرهيبة والزندقة الواردة من أوروبا.

ورفض أي انقياد كان للاستبداد الرهيب الناشيء من الفلسفة الطبيعية، وسعى لبيان حقيقة الإسلام، المتضمنة للحرية الشرعية الحقة والحضارة المثلى "[3]

ولقد دفعه عشقه للحرية بالدعوة إلى الحرية ومناصرتها، وتعقب كل المفاهيم الفاسدة لها وما ذلك إلا لحبها والعيش في كنفها، فيقول: " إن من عاش مع طيفها منذ عشرين سنة

---

(١) د/ زينب عفيفي: مفهوم العدالة عند النورسي، ص٥٩٢، مؤتمر العدالة باستانبول ٢٠٠٧. بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٤.

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١١٠، ١١١.

حتى تعقبها في الرؤى وترك كل شيء لحبها يستطيع الإجابة عنها فهو الخبير بوصفها "[١]

ويسجل " إحسان قاسم " عن النورسي: أن عشقه للحرية يجعله يفضلها عن مغريات العيش وعن أي شيء آخر •

بل إن النورسي يعلن: أنه يمكن أن لا يذوق الطعام، ولكن لا يمكن أن يحرم من الحرية أو يعيش بدونها، فيقول: " لقد سمعت أن المسئولين عهدوا إلى حكومة هذه المنطقة إعاشتي الدنيوية، أنني أشكر هؤلاء الناس •

ولكنني أعلن لهم أن حريتي في أداء واجبي هي أهم من كل شيء، فهي أول ركن من دستور حياتي..

إن إقصائي عن حريتي بحبائل الأوهام الكاذبة يجعلني أمل حياتي مللاً شديداً مهما أكتنفها من مغريات العيش •

لا أقول الحبس أو السجن، بل أنني لأفضل ذلك القبر المظلم على هذه الحالة •

إن على هؤلاء الذين يقولون أنهم لا يريدون ظلمي ويحكمون ببراءتي أن يردوا على قبل كل شيء حريتي، وأن لا يدنوا إليها بسوء...

إنني أتمكن أن أعيش بدون طعام، ولكنني " لا يمكن أن أعيش بدون حريتي "..

نعم إن ذاك الذي عاش طوال تسع سنوات على مبلغ لم يزد على مائتي ليره تركية دون أن يعرض نفسه معها إلى ذل الصدقة والمسألة والتعرض للزكوات والهدايا، لا ريب أنه اليوم أحوج إلى الحرية منه إلى العيش "[٢]

ولقد دفعه (أي النورسي) عشقه للحرية ومناصرته إياها، والدعوة إليها، أن يهب حياته ونفسه للدفاع عنها وحمل السيف لحمايتها، فيقول:-

" سنمنع بسيف الشريعة مساوي المدنية وذنوبها من الدخول إلى حريتنا ومدنيتنا

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٢.

(٢) إحسان قاسم: النورسي حياته وآثاره، ص٩٦،٩٧.

حفاظاً على فتوة مدنيتنا وشبابها بزلال عين حياة الشريعة "[١]

obeikandl.com

(١) إحسان قاسم: النورسي حياته وآثاره، ص٩٦،٩٧.

النورسي في مدرسة الحرية

يقول النورسي " حينما كانت " الحرية " قرينة الجنون، جعل الاستبداد الضعيف مستشفى المجاذيب مدرسة لي ".

وحينما كانت العدالة والاستقامة التبستا مع الرجعية، صير الاستبداد الشديد في المشروطية السجن مدرسة لي." (١)

ثم بين النورسي ما تعلمه من دروس في مدرسة الحرية والمشروطية فيقول:-

" إن الدرس الذي تعلمه من الحرية والشورى الشرعية هو: أن سيئة امرئ واحد في هذا الزمان لا تبقى على حالها سيئة واحدة، وإنما تكبر وتسري حتى تصبح مائة سيئة .

كما أن حسنة واحدة لا تبقى على حالها حسنة واحدة بل قد تتضاعف إلى الآلاف ".(٢)

وحكمة هذا أو سره هو: أن الحرية الشرعية والشورى المشروعة قد أظهرتا سيادة الأمة الإسلامية الأخلاقية الحقيقة، إذ أن حجر الأساس في بناء أمتنا وقوام روحها إنما هو الإسلام... وأن العرب والترك هما الأخوان الحقيقيان، وسيظلان حارسين أمينين لتلك القلعة المنيعة والصدفة المتينة...

وهكذا فبفضل هذه الرابطة المقدسة التي تشد الأمة الإسلامية بعضها ببعض يصبح المسلمون كافة كعشيرة واحدة " (٣)

إذاً فالنورسي من خلال ما تعلمه من درس الحرية، يريد أن يرسخ مفهوم الأمة واتحادها تحت راية الإسلام، وبيان أن العرب والترك هم حماة العقيدة الإسلامية والحرية الشرعية وبفضل هذه الروابط المقدسة يتحد المسلمون.

ثم يبين في موضوع آخر: أن ما تعلمه من دروس الحرية، يتوافق مع روئ كثير من

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٦٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٣٩.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥١٠، ٥١١.

الزعماء والمفكرين المسلمين.

فيقول: " لقد بايعت السلطان سليم، وقبلت فكره في الاتحاد الإسلامي، لأن ذلك الفكر هو الذي أيقظ الولايات الشرقية.

فهم قد بايعوه على ذلك، فالشرقيون الآن هم أولائك لم يتغيروا، فأسلافي في هذه المسألة هم: الشيخ جمال الدين الأفغاني، ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده.

ومن العلماء الأعلام: على سواعي، والعالم تحسين، والشاعر نامق كمال، الذي دعا إلى الاتحاد الإسلامي.

و" السلطان سليم " الذي قال: " إن مغبة الاختلاف والتفرقة يقلقاني حتى في قبري، فسلاحنا في دفع صولة الأعداء، إنما هو الإتحاد، وإن لم تتحد الأمة ؟ فإني أتحرق أسىً " [1]

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٤٦.

النورسي يخاطب الحرية

أيتها الحرية:- إنك تنادين بصوت هادر، ولكنه رخيم يحمل بشارة سارة، توقظين بها كردياً بدوياً مثلي، نائماً تحت طبقات الغفلة، ولولاك لظللت أنا والأمة جميعاً في سجن الأسر والقيد إنني أبشرك بعمر خالد، فإذا ما اتخذت الشريعة التي هي عين الحياة منبعاً للحياة، وترعرعت في تلك الجنة الوارفة البهيجة، فإنني أزف بشرى سارة أيضاً، بأن هذه الأمة المظلومة سترقى ألف درجة عما كانت عليه في سابق عهدها، وإذا ما اتخذتك الأمة مرشدة لها ولم تلونك بالمآرب الشخصية وحب الثأر والانتقام، فقد أخرجنا إذن من له العظمة والمنة من قبر الوحشة والاستبداد، ودعانا إلى جنة الإتحاد والمحبة...

فيا رب ما أسعد هذه القيامة والنشور، وما أجمل هذا الحشر العظيم، المصور لنا حقيقة " البعث بعد الموت " في هذا الزمان يصورها تصويراً مصغراً، وذلك كالآتي:-

لقد دبت الحياة في المدنية القديمة المدفونة في زوايا آسيا.. والذين يتحرون نفعهم في ضرر العامة ويتمنون الاستبداد، بدأوا يقولون { يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا } [1] .

إن حكومتنا الجديدة، حكومة المشروطية، قد ولدت أشبه ما يكون بالمعجزة، لذا ستنال في غضون سنة واحدة بإذن الله سر من يكلم الناس في المهد صبياً.

إن ثلاثين سنة قضيناها صائمين عن الكلام، متجملين بالصبر والتوكل على الله، ستنال ثوابه بانفتاح أبواب جنة الرقي، وأبواب المدنية التي لا عذاب فيها .

إن القانون الشرعي الذي هو براعة الاستهلال لحاكميه الأمة، شبيه بخازن الجنة يدعونا إلى الدخول فيها..

فهيا يا إخوة الوطن لنذهب معاً وندخلها معاً، فإن بابها الأول " إتحاد القلوب " والثاني " محبة الأمة " .. والثالث "المعارف " .. والرابع " السعي الإنساني " والخامس " ترك السفاهة " .. وأحيل إلى أذهانكم بقية الأبواب .

---

(١) سورة النبأ: آية رقم (٤٠).

علماً أن إجابة الدعوة واجب شرعي... "[١]

وهنا نلحظ أن النورسي في خطابه للحرية يكشف عن مفهومة لمضامين الحرية ووظيفتها بأنها هي التي ستوقظ الأمة من الغفلة وتكسر قيود الأسر، وأن الحرية إذا تربت في رحاب جنة الشريعة فإنها ستبعث الحياة في نفوس الموتى، وتزجر أصحاب المنفعة والاستبداد حتى يتمنوا أن يكونوا تراباً..

كما أن الحرية هي البداية للمشاركة الايجابية للأمة باختيارها للحاكم الذي يمثلها عن طريق الشورى.

ويشبه النورسي الحرية بأنها: جنة، وخازنها يدعونا للدخول فيها.

ثم يعد أبوابها ومداخلها، التي تفتحها للإنسانية، ومنها الاتحاد والمحبة للأمة، والحرية هي مدخل للمعرفة، وهي ليست للتكاسل، بل إن الحرية تعني السعي والحركة.

وكأن النورسي يريد أن يرسخ مفهوم الحرية الحركية التنموية.

أما خامس الأبواب فهو التخلق بالأخلاق الفاضلة وترك السفاهة.

ثم يحيل النورسي إلى أذهانهم بقية الأبواب، وكأنه يريد أن يوضح لهم أن الحرية الشرعية هي الأمل لتحقيق سعادة الدارين، وتحقيق كل ما يجول في ذهن الإنسان وخاطره.

وإن كنت أرى أن أهم ما يرشد إليه النورسي في خطابه للحرية بجانب هذه المفاهيم هو تلميحه في هذا الخطاب بعدم الخروج عن طاعة الحاكم، سواء بالعصيان أو الإثارة والقلاقل، إذ أن الحرية تستدعي – حتى وإن كانت محاصرة بالاستبداد – ممن يطلبها ويريد تحقيقها إلى التجمل بالصبر والتوكل على الله والنصيحة بالتي هي أحسن..

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٦٥.

المبحث الثاني

صور وأشكال الحرية عند النورسي

ويتضمن على ما يلي:-

- حرية العقيدة.
- الحرية الشخصية.
- حرية الرأى.
- الحرية الفكرية.
- الحرية السياسية.
- حرية الحوار.

obeikandl.com

" صور وأشكال الحرية عند النورسي"

حرية العقيدة.

أرسى الإسلام مبدأ النهي عن الإكراه، وأستنكر فكرة القهر لإدخال الناس فيه، ومن هنا فإنه لا يجوز إرغام أحد على الدخول في دين من الأديان أو الخروج منه، لأن الإكراه على اعتناق دين من الأديان ينتج منافقين لا مؤمنين ٠

ومن هنا كان المبدأ القرآني الواضح في حرية العقيدة: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[١] وقال تعالى: { فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ }[٢].

ولقد خاطب المولىَ نبيه ورسولهﷺ ببيان تحرير العقيدة من كل المؤثرات، فليس ثمة إكراه لأحد على أن يعتنق أي دين معين، فقال تعالى: { أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}[٣]

ثم بين ربنا أن وظيفته محصورة في التبليغ والتذكير فقال {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ}[٤].

ويلحق بحرية العقيدة أمور أخرى، منها حرية غير المسلم في إقامة شعائره الدينية ٠

" ولقد كانت دعوة النورسي الأممية إلى الدين الإسلامي في إطار حرية العقيدة، وكان موقفه منزهاً من شوائب الاستدراج التي لبثت الإرساليات والجمعيات التعصبية تمارسها بين فئات البشر، مستغلة فقرهم وعوزهم وانغلاقهم الفكري والمعرفي.

فالبشر خلقوا أحراراً، والدعوة إلى الله لا ينبغي أن تأخذ صورة الإلزام المقنع، لأن غرس العقيدة الكتابية ظل مقروناً بأحول من التخنيع والإغراء والاحتيال، وذلك ما يبرأ

---

(١) سورة البقرة: آية رقم (٢٥٦).

(٢) سورة الكهف: آية رقم (٢٥).

(٣) سورة يونس: آية رقم (٩٩).

(٤) سورة الغاشية: آية رقم (٢١، ٢٢).

منه الإسلام وذلك ما كانت تجسده دعوة النورسي "[١] إلى حرية العقيدة، بدءاً من صده لهجوم الإلحاديين والعلمانيين ومسخهم للعقيدة الإسلامية ونسفها، ومطاردة كل من ينتسب إليها، حيث يقول النورسي: " إنني مقتنع تماماً – نتيجة شواهد ودلائل عديدة – بأن الهجمات التي تشن علينا ليس مبعثها الزعم القائل: بأننا " نستغل الشعور الديني للإخلال بالأمن الداخلي ".. كلا، ولكن ذلك الهجوم – الذي يتم تحت ذلك الغطاء الزائف – يتم في سبيل الكفر والزندقة، ويستهدف إيماننا وإنهاء مساعينا وخدماتنا في سبيل هذا الإيمان... بل إن القانون رقم (١٦٣) ليس إلا غطاءاً كاذباً وزائفاً يشهر ضد حرية الضمير وحرية الوجدان والعقيدة، وقانوناً مطاطاً يراد منه أن يشمل كل المتدينين وكل الناصحين والدعاة، ولا يريد أهل الإلحاد والزندقة إلا القيام باستغفال بعض المسؤلين الحكوميين لضربنا وتحطيمنا "[٢].

ولقد واجه النورسي كثير من الاستبداد الديني " حيث برز الاتجاه الغربي الإلحادي على عهد الجمهورية الكمالية معلناً عداءه السافر للإسلام، وتمثل ذلك في مظاهر عدة، منها:

١ –الطعن في الإسلام ونبيه، واتهام الإسلام بالرجعية، وعدم ملائمته للعصر، وأنه سبب تأخر الأتراك.. وأنه مزيج من التعاليم اليهودية والنصرانية، وأنه عدو للأتراك، كما تناولوا النبي في كتاباتهم بالإساءة والافتراء.

٢ –النيل من علماء الدين والتهوين من شأنهم، ولعل هذا نيل من الدين نفسه، كما منعت حلقات علوم الشريعة في المدارس.

٣–تغريب ما بقى من العبادات والأوامر الإلهية، وتطويع الأدب لنشر الأفكار الغربية الإلحادية، وغلق الباب أمام من أراد تصحيح الأخطاء وتنقية الأفكار الإلحادية "[٣].

٤ –أغلق أشهر جامعين في استانبول، وحول أولهما وهو مسجد " أيا صوفيا "إلى

---

(١) د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص٦٤. بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ٣٣١، ٣٣٢.

(٣) د/ فرج محمد الوصيف: بديع الزمان النورسي عصره ودعوته، ص ٤٧–٥٠. بتصرف.

متحف وحول ثانيهما وهو مسجد " الفاتح " إلى مستودع... إلخ "[١].

لهذا يسأل النورسي دعاة الحرية الزائفة فيقول " لماذا لا تتعرضون أبداً " للإلحاد ولا للشيوعية ولا للفوضى ولا للمنظمات المفسدة العريقة، ولا للطورانية العنصرية مع أنها تتعارض مع سيادتكم ؟ وتتعرضون لأشخاص لا علاقة لهم قطعاً بالسياسة، بل همهم الوحيد سلوك طريق الإيمان والطريق القويم للقرآن الكريم...

إن الذين استغفلوكم وضللوا المراجع العدلية واشغلوا الحكومة بنا بما يجلب الضرر للأمة وللوطن، هم المعارضون لنا من الملحدين والزنادقة والمنافقين، فهؤلاء خدعوكم واشغلوا الحكومة عندما أطلقوا اسم " الجمهورية " على الاستبداد المطلق واسم " النظام " على الارتداد المطلق " واسم المدنية " على السفاهة الصرفة " واسم القانون" على ما وضعوه من أمور قسرية واعتباطية وكفرية، فآذونا وضيقوا علينا، ووجهوا ضرباتهم نحو حكم الإسلام وحكم الأمة خدمة للأجنبي " "[٢]

" إنني الآن في حاجة ملحة إلى حريتي " "[٣] حيث أنه " لا يمكن لأي شعب أن يعيش بلا دين "[٤] " ألا فلتعلموا جيداً بأنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من الشعر، وفصل كل يوم واحد منها عن جسدي، فلن أحني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة والكفر المطلق ٠

ولن أتخلى بحال من الأحوال عن هذه الخدمة الإيمانية النورية، ولا يسعني التخلي عنها " "[٥] " إننا نفضل البقاء في السجن ألف مرة على أن نرى الحرمات تنتهك ٠

وفي ظل هذا الاستبداد لا يمكن أن يقال أن هناك أى حرية، حرية العلم، أو حرية

---

(١) د/ فرج محمد الوصيف: بديع الزمان النورسي عصره ودعوته، ص٢٥، وانظر. المكتوبات، ص ٥٥٤، ٥٥٥.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ٣٤٠، ٤١٦.

(٣) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ٣٤٥.

(٤) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٤٠٩.

(٥) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ٤١٠.

الضمير، أو حرية التعبير، أو حرية الدين، ويقي علي طلاب الحرية أن يموتوا أو يبقوا في السجون محتمين بالله تعالى قائلين: " حسبنا الله ونعم الوكيل "[١].

ثم يخاطب النورسي أهل الإلحاد والبدعة قائلاً: " إن دستور حرية الضمير (حرية المعتقد الديني) مهمين بصورة عامة في العالم قاطبة، ولاسيما في هذا العصر، عصر الحريات، وبخاصة في نطاق المدنية الحاضرة، فإلى أية قوة تستندون أنتم في جرأتكم هذه بخروجكم على هذا الدستور واستخفافكم به، مما يعد إهانة للبشرية كلها، وإهمالاً لرفضها لعملكم ؟

وأية قوة لديكم حتى تمسكتم بالإلحاد وكأنه دين لكم، في الوقت الذي أطلقتم على أنفسكم أسم " اللادينيه " وأعلنتم عدم التعرض للدين ولا للإلحاد على السواء، بيد أنكم تتعدون على حقوق أهل الدين إلى حد كبير "[٢].

ومما سبق يتضح لنا شيئاً مهما: وهو أن الذي يمزق النورسي ألماً هو العمل الدؤب لأهل الإلحاد والزندقة، تحت ستار الحرية الزائف، على طمس الدين الإسلامي، وقتل تعاليمه وسفك دمُ من يتفوه بها.

كل هذا في بلد كان بالأمس القريب، مركز الخلافة الإسلامية، ويعقد على رأسه لواء الإسلام، وكانت حرية العقائد بجميع مللها ونحلها (رغم ما يقال من أقاويل عن الاستبداد السياسي) تؤدى وتنعم في جميع الربوع، أما اليوم، وفي عهد الساسة الجدد، فإن من يتلفظ بلفظ الدين، تلفق له التهم، ويزج به في السجون، ويصبح بين عشية وضحاها في تعداد المجرمين..

ورغم موجة محاربة الإسلام، فإن النورسي عمل علي كسر هذه القيود، وباشر حريته الدينية، فكان يصلي إماماً لبعض القرويين، وكانوا يصرون على الأذان وإقامة الصلاة

---

(١) إحسان قاسم: النورسي حياته وآثاره، ص٩٣. وانظر. بديع الزمان النورسي:الشعاعات، ص ٣٣١، ٣٣٢.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٥٤، وانظر، الشعاعات، ص ١٢٦، ٤٨٣.

داخل المسجد باللغة العربية "[١]

" بل وهو صائم في سفره كان يؤدي واجب التبليغ والإرشاد، وكان يطلب من حارسه أن يوقف السيارة قائلا له: إنه (لا إكراه في الدين) إلا أنه عندي نصائح أريد أن أسديها للركاب ٠

وفي الطريق عندما يحين وقت الإفطار تقف السيارة، حيث يفطر النورسي مع الركاب ويصلي معهم صلاة المغرب "[٢].

ولقد كان المفكرون والزعماء الإصلاحيين المسلمين يسعون لترسيخ الحرية الدينية، وعدم المساس بها بأي نوع من أنواع الاستبداد ٠

فها هو "رفاعة الطهطاوي" ينقل لنا صورة حرية العقيدة وشكلها في فرنسا فيقول:

" ومن الأشياء التي ترتبت على الحرية عند الفرنساوية أن كل إنسان يتبع دينه الذي يختاره يكون تحت حماية الدولة، ويعاقب من تعرض لعابد في عبادة " [٣]

ويسوق في " مناهج الألباب " نصيحة قدمها إلى أمير إنجليزي بروتستانتي فيقول:

" إذا آل الملك إليك أيها الأمير، فلا تجبر رعيتك الكاثوليكية على تغير مذهبهم ولا تبديل عقائدهم الدينية، فإنه لا سلطان يستطيع أن يتسلطن على القلب وينزع منه صنعة الحرية فقوة العنفوان الحسية والشوكة الجبرية الغاصبة لا تفيد برهاناً قاطعاً في العقيدة، ولا تكون حجة يطمئن إليها القلب، فلا ينتج الإكراه في الدين إلا النفاق وإظهار خلاف ما في الباطن "[٤]

أي أن تدخل الحكام في قضاياً الأديان هو نزع للحرية، ثم يضيف: " فمحض تعصب

---

(١) إحسان قاسم: النورسي حياته وآثاره، ص٧٦.

(٢)إحسان قاسم: النورسي حياته وآثاره، ص٨٨.

(٣) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص٤٧، نقلاً من- رفاعة الطهطاوي، تلخيص الابريز، ص٨٣.

(٤) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص٤٧، نقلاً من- رفاعة الطهطاوي، منهاج الألباب، ص٢٦٩.

الإنسان لدينه لإضرار غيره لا يعد إلا مجرد حمية "[١].

وكلام الطهطاوي هذا صادر عن طبع مصري مسلم أصيل، وهو الاعتدال في الدين والسماحة التي تنتج عن ذلك في معاملة أهل الاعتقادات الأخرى.

ثم يضيف الطهطاوي قائلاً: " وأما التشبث بحماية الدين لتكون كلمة الله هي العليا فهو

المحبوب المرغوب، ولذلك كان الجهاد الصحيح لقمع العدو إنما يتحقق إذا كان القصد منه إعلاء كلمة الله عز وجل وإعزاز الدين ونصرة المسلمين "[٢].

" أما الأفغاني فإنه يوضح في " العروة الوثقى " أن تحديد السلطة ومن يمسك بزمامها مرهون قبوله بإقامة أحكام الشرع وتنفيذها في حرية ومساواة بين جميع الأفراد، فيقول:

" وإنما ينالها (أي السلطة) بالوقوف عند أحكام الشرع والقدرة على تنفيذها ورضاء الأمة فيكون وازع المسلمين في الحقيقة شريعتهم المقدسة الإلهية التي لا تميز بين جنس وجنس "[٣].

ولعل إقامة السلطة على أحكام الشرع كفيل بضمان حرية العقيدة للمسلمين وغير المسلمين ولعل سيرة السلف من الصحابة والتابعين حافل بنماذج حرية العقيدة التي أرسى قواعدها الشرع الحكيم والنبي الخاتم الأمين.

ومن خلال ما سبق يتضح أن المفكرين والزعماء الإصلاحيين جاهدوا كما جاهد وكابد النورسي لترسيخ وتفعيل حرية العقيدة .

ولكن إذا كان النورسي خاض معارك مع الإلحاديين والزنادقة الذين أعلنوا عدائهم السافر للإسلام، فإن الزعماء الإصلاحيين لم يكن لهم نصيب من هذه المعارك، وإن كان

---

(١) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص٤٧، نقلاً من- رفاعة الطهطاوي، منهاج الألباب، ص٢٦٩.

(٢) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص٤٧، نقلاً من- رفاعة الطهطاوي، منهاج الألباب، ص٢٦٩، ١٧٠.

(٣) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص٤٧، نقلاً من- رفاعة الطهطاوي، العروة الوثقى، ص٢٦٩، ١٧٠.

هذا لا يحول من تلاقيهم في الرؤى والأفكار والمساعي لتحقيق نفس الأهداف.

ورغم هذا التلاقي فإننا نجد تبايناً جزئياً في بعض التصورات والتطبيقات للحرية الدينية..

فبينما يسعى الأفغاني لتحقيق الحرية الدينية السلطوية من خلال تطبيق أحكام الشريعة كواقع عملي (وذلك يستتبع إقامة الحدود) وتنفيذها كشرط أساسي لمن يريد أن ينال السلطة.

فإن النورسي يسعى لتحقيق الحرية الدينية من خلال تطبيقها في المجتمع بين الأفراد كواقع عملي وحياتي وليس من خلال السلطة، وذلك لمواجهة المد الإلحادي الذي تقوم بتطبيقه وإقامة أركانه سلطة الدولة.

إذا فأقصى ما يتمناه النورسي ممن يتولى السلطة هو ضمان حرية العقيدة للأفراد، وتهيئة المناخ لمزاولتها ٠

ولهذا يقول النورسي: " إن الشعار المعلن للنظام السابق معلوم للجميع (أي عدائهم المعلن للإسلام) وينبغي للديمقراطيين ما داموا يريدون البقاء (أي في الحكم والسلطة) أن يتخذوا سياسة مناقضة لذلك الشعار مناقضة تامة: وهي التشدد ضد الشيوعية من جهة، وحماية الدين وأهل الدين من جهة ٠

إنهم ملزمون بسلوك هذا السبيل في وضوح وجرأه ٠

إن أي بادرة ضعف كان أو بادرة فتور بهذا الشأن يوقعهم في شراك حزب الشعب الجمهوري ونحن طلاب النور لا نشتغل في السياسة قطعاً " وأملنا الوحيد ضمان حرية الدين في الوطن ورفع الظلم والتضييق الواقع منذ ربع قرن على الدين وأهله وجماعة النور أهل القرآن " [1]

ثم يبين النورسي أنه يسعى لكي تكون السياسة في وئام مع الدين وأداة له، فيقول:

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٤٠.

" إننا سعينا لأجل إسعاد هذه الأمة والبلاد بجعل السياسة أداة للدين وفي وئام معه تجاه أولئك الذين جعلوا السياسة المستبدة آله للإلحاد وعذبونا..... "[1]

ولهذا استمر سعي النورسي لتصحيح ما وقع في أفهام العامة بأن تطبيق الحرية الشرعية ما هي إلا القصاص وقطع اليد ٠

من هنا كان سعيه من اجل " الوقوف تجاه تعميم مفهوم الحرية على التصرفات السفيهة..... أي تحديد معنى الحرية بالآداب الشرعية، ثم القيام بتطبيق الحدود الشرعية التي لا يفهم العوام منها سوى القصاص وقطع اليد "[2]

ورغم توافق النورسي والطهطاوي واعترافهم بتواجد الحرية الدينية في الغرب، فأننا نلحظ أن اعتراف الطهطاوي هو لنقل هذه الصورة إلى الشرق ٠

ولكن النورسي يؤكد أن هذه الصورة متأصلة وراسخة في جميع مبادئ وبلاد الإسلام التي تستظل بحكم المسلمين، بدءاً من عهد النبوة إلى الآن.

ولكن الذي شوهها (أي هذه الصورة للحرية الدينية) هم العلمانيين الإلحاديين، فيقول: " فالمحاكم البريطانية لم تحاكم حتى الآن أكثر من مائة مليون مسلم يعيشون تحت ظل الحكومة الإنجليزية المتجبرة والمتزمتة في دينها منذ مائة سنة، رغماً عن عدم قبولهم ورفضهم (أي المسلمين) سلطة الكفر للإنجليز ٠

وعندنا لم تتعرض الحكومات الإسلامية كلها في أي وقت كان بقوانينها لليهود والنصارى الذين عاشوا في دول الإسلام منذ القدم، رغماً عن مخالفتهم ومعارضتهم ومضادتهم لدين الدولة وانظام السامي الذي يستظلون به..وقد تحاكم عمر رضى الله عنه في زمن خلافته مع نصراني من عامة الناس في محكمة واحدة ٠

فإن عدم مؤاخذة مخالفة هذا النصراني لنظام حكومة الإسلام ودينها وقوانينها تظهر بجلاء أن مؤسسة العدل لا تنجرف مع تيار ولا تنحاز إلى التعصب.. هذه عمدة أساس في

---

(١) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٣٣٣، ٣٣٤. – وأنظر – سيرة ذاتية، ص٤٤٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١٠٥.

حرية الدين والضمير، فهي نافذة في مؤسسات العدل كافة في الشرق والغرب والعالم كله عدا الشيوعية منها.

وأنا حين اعترض – ثقة بهذه العمدة الأساس لحرية الدين والضمير واستنادا إلى مئات الآيات القرآنية – على الجزء الفاسد من المدنية وعلى الاستبداد المطلق المستتر بستار الحرية وعلى الظلم الشديد الواقع على الدين وأهله تحت قناع العلمانية "[1]

ويكشف النورسي عن زيف القناع الذي تقنعت به حكومة الجمهورية باتخاذها حرية العقيدة أساس لها، في الوقت الذي أعلنت فيه عدائها وحربها على تعاليم الإسلام، وتعاملت المحاكم مع المسلمين وكأنهم جناة يعارضون حرية العقيدة، فيقول: " إنهم يؤاخذوننا لقيامنا بجمع آيات كريمة من القرآن الكريم تعين على التفكر في آيات الله (في الكون) تلك التي هي منبع رسائل النور...

أيمكن أن يقال لمن يقوم بمثل هذا العمل: أنهم يحرفون الدين....

ثم أننا جعلنا حرية الوجدان والعقيدة التي اتخذتها حكومة الجمهورية أساساً لها، مدار استناد لنا، ودافعنا عن حقوقنا بهذه المادة، ولكن اتخذتها المحكمة مدار مسؤولية وكأننا نعارض حرية الوجدان والعقيدة "[2]

ويستنكر النورسي من مواقف الإلحاديين باستغلالهم لكل حادث عارض لمحاربة الإسلام وإبرازهم أن الحرية الدينية للمسلمين لا ينتج عنها إلا الرجعية والإرهاب، فيقول:

" وقعت حادثة الصحفي المعروف " أحمد أمين بالمان" إذ حاول شاب أن يغتاله فأطلق عليه عدة رصاصات لم تنل منه مقتلاً .

وقد استغلت هذه الحادثة إستغلالاً كبيراً من كل الجرائد والمجلات المعادية للإسلام التي غاظها جو الحرية النسبي الذي بدأت تتنفسه الحركات الإسلامية في تركيا، فأرادت

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٤٦، وأنظر، ص٤٠٩،٤٠٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٤٣٠.

أن تظهر بأن إعطاء أيه حرية لمثل هذه الحركات ستكون نتيجتها ظهور الرجعية والإرهاب "[١]

ولم تقف صيحات هؤلاء الحاقدين عند هذا الحد، بل وجهوا حقدهم إلى الديمقراطيين

المناصرين لحرية العقيدة الإسلامية، مما حفز النورسي لإسداء النصيحة إلى الديمقراطيين حتى لا يقعوا في شباكهم العنكبوتية، فيقول: " إن أمضى أسلحة عبيد العهد الماضي من الماسونين الذين هدروا الدين والإيمان والأرواح في البلاد أثناء حكم الدكتاتورية والرئاسة الفردية، وهي في أنفاسهم الأخيرة الموجهة ضد الديمقراطيين، هي السعي في إظهارهم وكأنهم أقل ديناً مما كانوا عليه، وتلبيس نفر منهم بأزياء التدين، فيشيعون بأن الديمقراطيين لن يفوا بوعودهم للشعب في إطلاق الحريات الدينية ٠

ويتهم نفر آخر منهم الديمقراطيين بحماية " الرجعية الدينية " لصدهم عن معاضدة حرية الدين وتوجيههم إلى تخريب الدين والمؤسسات الدينية وفرض الشدة على أهل الدين.

إن تصرف الحزب الديمقراطي بحزم ضد الشيوعيين منذ استلامه السلطة، وإطلاق حرية الأذان المحمدي بصورته الشرعية، وكسب محبة الشعب لهذا السبب أقلق حزب الشعب الجمهوري غاية القلق، ونحن نثق بأن الديمقراطيين لن يقعوا في الفخ، لأنهم يدركون أن هذا الوضع الذي وقع فيه أولائك كان بسبب سياسة العهد الماضي الظالمة ضد أهل الدين وضد جماعة النور أهل القرآن "[٢].

ولم يقف مسعى النورسي عند حُد النصح للديمقراطيين فقط، بل تواصل مع أعضاء المجلس النيابي المتدينين الغيارى، قائلاً: " إن مصلحة الإسلام والبلاد تقتضي قبل كل شيء إقرار قانون حرية المتدينين وتنفيذه فوراً في المدارس، لأن هذا التصديق يكسب هذه البلاد القوة المعنوية.. ويجعل تلك القوة الهائلة ظهيرة لنا، إذ مما لاشك فيه أن الحقائق

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٦٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٤٠.

القرآنية والإيمانية هي التي صدت اعتداء روسيا علينا "[١].

فالنورسي يبين أنه لا بد من إقرار حرية العقيدة " لصد تيار الإلحاد المعتدي "[٢] حيث أن العقيدة كفيلة بصد هجمات الأعداء، وهي الوسيلة الأولى لمكافحة الشيوعية والفوضى " لأنه لا وسط بين الكفر والإيمان •

ففي هذه البلاد وتجاه مكافحة الشيوعية فليس هناك غير الإسلام، وليس هناك وسط، لأن التقسيم إلى يمين ويسار ووسط يقتضي ثلاثة مسالك، وهذا يصدق لدى الإنجليز والفرنسيين إذ يمكنهم أن يقولوا اليمين الإسلام، واليسار الشيوعية، والوسط النصرانية، إلا أن الذي يجابه الشيوعية – في هذه البلاد – ليس إلا الإيمان والإسلام، فليس هناك دين ومذهب آخر يجابهها إلا التحلل من الدين والدخول في الشيوعية، لأن المسلم الحقيقي لا يتنصر ولا يتهود، بل إذا خلع دينة يكون ملحداً فوضوياً إرهابياً "[٣].

ولعل النورسي في حديثه عن حرية العقيدة وضح الكثير من الأمور منها:-

– أن حرية العقيدة ضرورة حتمية لإشاعة الأمن والسلام والتسامح والمحبة، كما أنها عاملاً رئيسياً للتقدم والرقي الحضاري المادي والمعنوي، وهي الحصن الحصين لحماية البلاد ورد الأعداء.

– هذا بالإضافة إلى تصحيحه للمفاهيم المغلوطة سواء عند العوام وفهمهم عن الحرية الشرعية أنها ليست سوى قطع اليد والقصاص، أو تصحيحه لما أثاره أعداء الإسلام بأن الحرية الدينية للمسلمين لا تفرز إلا المرجعية والإرهاب.

– هذا بالإضافة إلى بيان أن حرية العقيدة في الإسلام تكفلت بضمان حريات جميع الملل والأديان تحت راية الحكم الإسلامي، وهذا ما أكد عليه النورسي بقوله:

---

(١) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٣٤٧.

(٢) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٣٤٨.

(٣) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص ٣٤٦، وانظر،سيرة ذاتية، ص٤٤٨.

" حرية غير المسلمين هي شعبة من حريتنا "[١].

- كما نلحظ أن النورسي يجعل حرية العقيدة هي عمدة أساس جميع الحريات .

لذا فإننا سوف نرى ونحن نتكلم عن موضوع الحرية عند النورسي أنه لا يفتر يتكلم عن الحرية إلا ومقروناً معها دعوته وحديثه عن حرية العقيدة.

(١). بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٦.

obeikandl.com

الحرية الشخصية

الحرية الشخصية هي من الضرورات الإنسانية لكل فرد، وتلك الحرية خلقت في الإنسان وأنطبع الإنسان عليها ٠

ولهذا سعى الإسلام إلى تحطيم الحواجز التي تعوق الحرية الشخصية للذين أصابتهم لعنة الاسترقاق.

وسار النورسي وزعماء الحركة الإصلاحية على نفس مسلك المنهج الإسلامي لإزالة العوائق التي تعوق حرية الإنسان الشخصية.

والنورسي يوضح لنا مفهومه عن الحرية الشخصية فيقول: " ألا إن الحرية الشخصية " هي: أن يكون المرء مطلق العنان في حركاته المشروعة، مصوناً من التعرض له، محفوظ الحقوق ولا يتحكم بعض في بعض، ليتجلى فيه نهي الآية الكريمة { وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ }[1] ولا يتآمر عليه غير قانون العدالة والتأدب، لئلا يفسد حرية إخوانه "[2]

وهنا نلحظ أن تعريف النورسي يشمل جميع صور الحرية الشخصية، ويتضح ذلك من خلال قوله (مطلق العنان) ولكن مقيد بإطار الشرع.

ورغم هذا فإنه يبرز أهم ما تستجوبه الحرية الشخصية، وهو ما يطلق عليه " حرية الحركة والتنقل" (في حركاته) ٠

" وحق الأمن " كما في قوله (مصوناً من التعرض له) ٠

وكذلك " حفظ حقوقه الاجتماعية " ويتضح ذلك من خلال قوله (محفوظ الحقوق) ٠

وكذلك "حرية التصرف" ويتضح ذلك من خلال قوله (ولا يتحكم بعضنا فى

---

(١) سورة آل عمران: آية رقم(٦٤).

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٤.

بعض).

ويتلاقى مفهوم النورسي مع مفهوم " رفاعة الطهطاوي " عن الحرية الشخصية حيث يقول رفاعة: " وقد ضمنت الشريعة لكل إنسان التمتع بحريته الشخصية "[١]

أما مفهوم الحرية الشخصية عند " خير الدين التونسي " فتعني " إطلاق تصرف الإنسان في ذاته وكسبه، مع أمنه على نفسه وعرضه وماله ومساواته لأبناء جنسه لدى الحكم، بحيث أن الإنسان لا يخشى هضيمة في ذاته ولا في سائر حقوقه، ولا يحكم عليه بشيء لا تقتضيه قوانين البلاد المتقررة لدى المجالس ٠

وبالجملة فالقوانين تقيد الرعاة كما تقيد الرعية "[٢]

ثم يبين " خير الدين التونسي " أن العناصر السابقة للحرية موجودة في الشريعة الإسلامية فيقول " فما تقتضيه الحرية الشخصية " المشروحة سابقاً من حفظ حقوق الإنسان في نفسه وعرضه وماله " قد اعتبرتها " شريعتنا.. اعتباراً كلياً "[٣]

ويتكلم " الأفغاني " عن الحرية الشخصية، ولكنها في العادة ليست إلا الحركة أو محض الحركة الجسمية، وهي لا تذكر إلا في إطار انتقاده لسياسة الإنجليز في مصر وتعنتهم ومحقهم للحرية الشخصية، فيقول: " وزاد الويل بمحق الحرية الشخصية والأخذ بالشبه وإن ضعفت وإتباع بواطل التهم وإن بعدت أو استحالت، حتى أخذ الفزع من القلوب مأخذه، وبلغ منها مبلغه فلا ترى ماراً بطريق إلا وهو يلتفت خلفه لينظر هل تعلق بأثوابه شرطي يقوده إلى السجن "[٤]

وإلى نفس هذه الرؤية والمفهوم عن الحرية الشخصية ذهب العديد من المفكرين

---

(١) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص٤٦، نقلاً من، رفاعة الطهطاوي: تخليص الأبريز، ص٨٣.

(٢) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص١٣٨، نقلاً من، خير الدين التونسي: مقدمة أقوم المسالك، ص٨٦.

(٣) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص١٣٨، نقلاً من، خير الدين التونسي: مقدمة أقوم المسالك، ص٨٦.

(٤) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص٢٤٠، نقلاً من، جمال الدين الأفغاني: العروة الوثقى، ص٢٣.

المعاصرين " حيث يقول الأستاذ " عبد الوهاب خلاف ": المراد من الحرية الشخصية..؟

" أن يكون الشخص قادراً على التصرف في شئون نفسه وفي كل ما يتعلق بذاته، آمناً من الاعتداء عليه في نفس أو عرض أو مال أو مأوى أو أي حق من حقوقه، على أن لا يكون في تصرفه عدوان على غيره "[١]

ومن خلال عرضنا لمفاهيم الحرية الشخصية عند المفكرين الإصلاحيين، يتبين لنا توافقهم ومدى نضالهم وجهادهم لإطلاق الحرية الشخصية المشروعة من قيود الاستبداد، دون الالتفات إلى ما يلحق بهم من جراء مناصرتهم لحرية الإنسان •

فالنورسي على سبيل المثال: " ولأنه أبدى نشاطاً دائباً ومناصراً للمنادين بالحرية، واهتماماً بالأمور الاجتماعية والسياسية، قرر متصرف ماردين سوقه مكبلاً بالأغلال إلى مدينة " تبليس" بصحبة اثنين من الجندرمه (أي الشرطة) "[٢]

ولعل مناصرة النورسي للحرية وحبه لها نابع من طبيعته الشخصية التي تستلزم إطلاق حريتها الشخصية •

ضف إلى هذا أنه بدوي، والحرية من مفاخرهم، وواحدة من دساتير حياتهم، ونقطة استناد لهم، فهم يرددون دائماً: " نحن أحرار منذ القدم، فقد ولدت حريتنا توأماً معنا "[٣]

أي أن الحرية قرينة لطبيعتهم وشخصيتهم •

ولهذا يبين لنا النورسي أنه أنطبع علي الحرية شخصيته، فيقول: " إني ترعرعت فى جبال كردستان، فعليكم أن تزنوا أحوالي التي لا تروق لكم بميزان كردستان لا بميزان استانبول ويلزمكم سوق معظم الأكراد إلى مستشفى، ذلك لأن الأخلاق المفضلة- في الأناضول-

---

(١) د/ محمد سليم محمد غزوي: الحريات العامة في الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية، ص٢٣

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٨٥.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٤.

obeikandl.com

هي الجسارة وعزة النفس والثبات في الدين وانطباق اللسان على ما في القلب..

إنه من الضروري أن يحتد ويغضب كل من له مزاج عصبي مثلي، لأن الذي يحمل فكراً رفيعاً – أي الحرية الشرعية – منذ خمس عشرة سنة وأوشك أن يراه فعلاً، إذ به يرى نفسه على خطر وهلاك من حرمان رؤيته – بانقلاب عظيم – كيف لا يحتد ولا يغضب "[١] فالنورسي يبين أن من خصال الكردي المسلم الجسارة وعزة النفس والثبات في الدين وانطباق اللسان على ما في القلب، وهي تعني حرية الرأي، وهذه الحريات هي أساس للحرية الشخصية عنده ٠

ولهذا نراه يدافع عن حرية العبادة الشخصية فيقول: " إذاً ليس هناك قانون في العالم يسمح بالتدخل في عبادة شخصية خاصة، ولا يسن قانون في ذلك قطعاً "[٢]

وكذلك يدافع النورسي عن الحرية الشخصية في الملبس حيث " أُرغم الناس على تغيير الزى إلى الزى الأوربي، فالرجال أُرغموا على لبس القبعة، والنساء على السفور والتكشف "[٣]

ويؤكد النورسي دعمه ومناصرته للحرية الشخصية في الملبس ورفضه إكراه النساء على التبرج " تحت ستار حرية النساء "[٤] بتأليفه " رسالة الحجاب "[٥]

ولقد اتخذ النورسي موقفاً حاداً من مسألة القبعة ورفض ارتدائها، وكان ذلك سبباً كافياً ليقذفوا به إلى ساحات المحاكم وسؤاله: " إنك ومنذ عشرين عاماً لم تضع قبعتنا على رأسك حتى ولا مرة واحدة، ولم تحسر عن رأسك أمام المحاكم – السابقة منها واللاحقة – بل بقيت في قيافتك القديمة، مع أن سبعة عشر مليوناً لبسوا القيافة الجديدة.

قلت لهم: ليس هناك سبعة عشر مليوناً ولا سبعة ملايين، بل ولا يوجد من يلبسها

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٧٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: مكتوبات، ص٥٥٤.

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢١٦.

(٤) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص١٢٤.

(٥) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٢٩٩.

بمحض اختياره سوى سبعة آلاف من السكارى عبدة الغرب ومقلديه •

لذا فبدلاً من أن ألبس قيافة تجبرني عليها قوة القانون، وتسمح لي بذلك الرخصة الشرعية (حيث أنه إكراه) فإني أفضل أن ألبس قيافة سبعة مليارات من الذوات المحترمين وسلوك طريقة العزيمة والتقوى "[1]

ولقد كان في تصميم ودفاع النورسي عن الحرية الشخصية أن لاقى الكثير من أنواع الاضطهاد، مع أنهم لا يتعرضون للخارجين عن الدين باسم الحرية الشخصية، ولهذا يقول النورسي: " لقد أبرزوا عدم قيامي بلبس القبعة كسبب مهم لإدانتي، ولم يسمحوا لي بالكلام وضيقوا علي كثيراً وآذوني •

إن الأطفال والنساء وأكثر القرويين والموظفين في الدوائر الرسمية والذين يلبسون غطاء الرأس غير مضطرين إلى لبس القبعة، إذ لا مصلحة أو فائدة مادية في ذلك، إذن فإن شخصاً قروياً مثلي قاسى عشرين عاماً بسبب عدم لبس القبعة والافتراءات •

علماً بأن جميع المجتهدين وجميع شيوخ الإسلام منعوا لبسها، والآن يعودون إلى إيذائي وعقوبتي دون أي وجه حق •

فكما لا يتعرض أحد إلى الذين يشربون الخمر جهاراً في شهر رمضان ولا يصلون وذلك بأسم الحرية الشخصية، لذا فإن الذي يتهمني من أجل قيافتي مراراً وتكراراً بهذا العناد وبهذه الشدة سوف يسألون عن هذا عندما يشاهدون الحبس الانفرادي الأبدي في القبر ويحضرون إلى المحكمة الكبرى "[2]

وقد التف كثيرون حول النورسي ممن أيقظتهم دعوته للحرية وتسألوا ؟

" لماذا يتجول هؤلاء السكيرون والمخمورون ولاعبوا القمار بكل راحة واطمئنان وحرية بينما يظل خدام الإيمان والقرآن كبديع الزمان في السجون ويقضي حياته كلها

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٣٤٥.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤١٣.

هناك" [١].

ولقد زاول النورسي حرية الحركة والتنقل في حياته بدءاً من تنقله بين البلاد طلباً للعلم، ثم ذهابه استانبول ودفاعه عن تركيا وصد الأعداء، وتجواله بحرية تامة بين البلاد والقبائل ودعوته لقبول المشروطية وتحديد وإيضاح مفهوم الحرية ٠

ثم توقف ذلك شيئاً فشيئاً حين وصل الجمهوريين الحكم وزالت الخلافة، حيث قيدت حركته بدخوله السجن لأسباب واهية ولكسب مودة أتاتورك، ويصرح بذلك النورسي فيقول:

" إن السبب الأساسي لهجوم الحاقدين على هو أنهم يسحقونني متذرعين بمودتهم وموالاتهم لمصطفى كمال " [٢]

وظل تقييد حرية الحركة والتنقل للنورسي حتى وهو في " مرض الموت" [٣]

لهذا كان لا يفتر من مخاطبة الحكام وأهل الحل والعقد لرفع الظلم ومنحه حريته الكاملة قائلاً لهم: " يا أهل الحل والعقد، لقد تعرضت لظلم يندر وجوده في لدنيا، ولما كان السكوت على هذا الظلم يعج استهانة بالحق وعدم احترام له، فقد اضطرت إلى إفشاء حقيقة مهمة جداً فأقول: إما أن تقوموا بإعدامي وبيان ذنبي الذي استلزم حكماً مقداره مائة سنة ضمن دائرة القانون وإطاره ٠

أو برهنوا على أنني مجنون وفاقد للعقل ٠

أو أعطوا لرسائلنا ولنا ولأصدقائنا الحرية الكاملة وحاسبوا الذين تسببوا في إيقاع الأذى بنا ٠ فإذا لم يكن في قوانين الحكومة الجمهورية ما يبرر إيقاع الأذى الشديد بي وبأصدقائي، فإن من المفروض ومن الواجب تقديم الترضية الضرورية والتقدير والمكافأة

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٥٤٣ - ٥٤٤.

(٢)بديع الزمان النورسي: ملاحق، ص٣١٩.

(٣) احسان قاسم: النورسي حياته وآثاره، انظر من ١٢٧ - ١٣٣

لنا، مع إعطائنا كامل الحرية "[١]

" إنني أريد حفظ حقوقي في إطار القانون.. وآمل أن تعاد لي حقوقي "[٢]

" ولقد سلبتموني حريتي وأسقطتموني من الحقوق المدنية، مع أنكم أصدرتم العفو عن المجرمين ولم يقل أحد منكم: أن هذا الشخص أيضاً من أبناء هذا الوطن، فبأي قانون من قوانينكم تكلفون شخصاً غريباً عنكم مثلي من كل جهة بدساتيركم هذه المناقضة للحرية والتي طبقتموها على أمتكم المنكوبة خلاف رضاهم ؟ "[٣]

" إنني أنتظر بلهفة رفع هذا الحيف والإجحاف والظلم فوراً والذي ترتعد منه فرائض أهل الحق والحقيقة "[٤]

ولم يقف حد التنكيل بالحرية الشخصية عند النورسي فقط، بل عمت الكثيرين ممن لا يروقون لأمزجة النظام الحاكم، ومنهم طلاب النور الذين قيدت حرياتهم الشخصية بالسجن والإهانة، ولهذا بعثوا برسالة لرئيس الجمهورية الديمقراطية وأعضاء مجلس الوزراء بأنقرة لمعاونتهم لرفع القيود عن حريتهم الشخصية، قالوا فيها: " نحن طلاب النور أصبحنا هدفاً لما لا مثيل له من ضروب التعذيب والإهانة طوال عشرين سنة، فصبرنا تجاه ذلك حتى أتى المولى الكريم بكم لمعاونتنا "[٥].

ولكن الحال لم يتغير كثيراً، فبعد أن تم الإفراج عن النورسي وطلابه من السجن الصغير فإنهم خرجوا إلى السجن الكبير، حيث قيدت حركاتهم وتنقلاتهم مما كان سبباً لاستنكار النورسي على هذه الأوضاع، وتألمه من تقييد حريته الشخصية، ولهذا يقول:

" إنني أعيش تحت النظارة والمراقبة المستديمة منذ عشر سنوات "[٦] مع " أن وضعنا

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٨٩.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٩٤.

(٣) بديع الزمان النورسي: مكتوبات، ص٥٥٦.

(٤) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٨٨.

(٥) بديع الزمان النورسي: ملاحق، ص٣٣٣.

(٦) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٨٦.

وحالنا خارج السجن – تحت هذه الظروف – (أي المراقبة الدائمة وتحديد الإقامة الجبرية وتقييد حريتنا في الحركة والتنقل) أسوأ مائة مرة من حالنا داخله، ولا يبقى بعد هذا الاستبداد المطلق الموجه إلينا أي نوع من أنواع الحرية... لا الحرية العلمية، ولا الحرية الوجدانية، ولا الحرية الدينية..

أي لا يبقي أمام أهل الشهامة وأهل الديانة وأمام مناصري الحرية ومحبيها من سبيل إلا الموت أو الدخول إلى السجن " [١]

ولعل هذا النص يوضح لنا شيئاً هاماً يلفت النورسي أنظارنا إليه، وهو أن تقييد الحرية الشخصية يقضي على كثير من أنواع الحريات، وأهمها:

- الحرية العلمية: وذلك يفرز الجهل والتخلف، ويعوق التقدم والرقي في جميع المجالات .
- ثم الحرية الوجدانية: وبتقييدها ينتج الإرهاب وعدم الولاء .
- أما تقييد الحرية الدينية: فإنه يفرز التعصب البغيض الذي يتنافى أساساً مع سماحة الأديان السماوية .

ويعبر النورسي عن ذلك بقوله " إن أخصب مرتع للفكر الفوضوي الإرهابي هو الأماكن المزدحمة بالمظلومين " [٢]

لهذا فإن النورسي يفضل القبر عن تقييد حريته الشخصية فيقول: " فالقبر لمثلي إذا خير وأفضل مائة مرة من هذا السجن، فضلاً عن أن هذا السجن هو أكثر نفعاً وأكثر راحة بمائة مرة من الحرية المقيدة في الخارج، ومن الحياة تحت تحكم الآخرين وسيطرتهم، لأن المرء يتحمل مضطراً مع مئات المساجين تحكماً من بعض المسئولين..، بينما يتحمل وحده في الخارج سيطرة مئات الموظفين والمسئولين " [٣].

---

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٣٣٢.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص١١٧.

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٣٨٨.

ولم تقف مناصرة النورسي للحرية ودعوته إليها عند حد مواجهة هذا الاستبداد المطلق الذي قيدوا به حريته الشخصية في الحركة والتنقل، بل دافع عن كل ما تتطلبه حريته الشخصية المشروعة ومنها (حق الأمن) بأن يكون آمنا على نفسه ٠

ويتجلى ذلك من خلال تعرضه للكثير من محاولات قتله " بدس السم له في الطعام " [١] سواء في السجن أو في خارجه من أجل التخلص منه، " ولكن الله حفظه، وعندما كان يحاول بعض طلابه إسعافه ومساعدته، ضربوهم ضرباً مبرحاً وأدميت أرجلهم على (الفلقة)" [٢]

ولقد واجه النورسي هذه المحاولات المشينة والمنافية للحرية بقوله: " إنكم لن تعيشوا بعد قتلي، فان يداً قاهرة ستأخذكم من دنياكم التي هي جنتكم وانتم مغرمون بها وتطردكم عنها وتقذف بكم إلي ظلمات أبدية ٠

وسيقتل بعدي رؤساؤكم الذين تنمردوا وطغوا قتلة الدواب، ويرسلون إلي، وسأمسك بخناقهم أمام الحضرة الإلهية، وسآخذ حقي منهم بإلقاء العدالة الإلهية إياهم في أسفل سافلين..

إن كنتم تريدون أن تعيشوا حقاً فلا تتعرضوا لي ولا تمسوني بسوء " [٣]

ولعل دفاع النورسي عن حقه في الأمن على نفسه هو من حقوق حريته الشخصية بأن يكون " مصوناً من التعرض له " [٤] فإن ذلك الحق أرساه الشرع الحكيم وجعله من مقاصد أحكام الدين.

---

(١) إحسان قاسم: النورسي حياته وآثاره، ص١٠٠، وانظر د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته،ص٨٦ د/ سمير رجب: الفكر الأدبي، ص٦٣ (تم وضع السم للنورسي سبعة عشرة مره) انظر/ صيقل الاسلام،ص٥٣٦ ٠

(٢) إحسان قاسم: النورسي حياته وآثاره، ص١٠٠.

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٥٧.

(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٤.

حرية الرأي

منح الإسلام كل فرد الحق في إبداء رأيه عن أي طريق شاء، وجعل من أظهر صفات المؤمنين أنهم يجهرون بما يرون ولا تأخذهم في الحق لومة لائم {لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ}[1]

ويلحق بحرية الرأي، حق الفرد في النقد والتقويم، وقد أوجب الإسلام على كل إنسان يرى انحرافاً أو خطأ أن يعارضه، وأن لم يفعل فهو آثم ٠

ومازال النقد سمة من سمات المجتمع في كل عصر تحققت فيه الحرية واختفى الاستبداد."[2]

ولقد كان الرسول ﷺ يشجع الصحابة على حرية الرأي، فكان يفتح الباب للجميع لإبداء رأيهم، ويتجلى ذلك من خلال أخذه بآراء الصحابة في الخروج للغزوات وتقسيم الغنائم إن لم يكن هناك نص من الوحي يأمر بشيء ٠

وكذلك إتاحته لحرية الرأي والاجتهاد، وكان يشجع الصحابة على ذلك، وقد روي عن عمرو بن العاص أنه كان يجلس في محضر الرسول، فسأل الرسول أأجتهد وأنت حاضر: فقال الرسول: نعم.. إن أصبت فلك أجران، وإن أخطأت فلك أجر واحد.

وكان عمر ﷺ أكثر الصحابة إبداءاً للرأي، وكثيراً ما نزلت الآيات التي تصدق على رأيه وتؤكده.

ولعل حرص النبي ﷺ على ترسيخه لمبدأ حرية الرأي كقاعدة أساسية في الإسلام وتفعيلها بين المسلمين، حتى يعدهم بهذه التربية التي تمكنهم من تحليل الأمور واقتراح العلاج المناسب ولما يعلم أنهم المرشدون للبشرية جميعاً.

كما أن الحكمة من حرية الرأي هي الوصول للرأي السديد النافع، ولكي يكون لبنة في بناء المقصد والتوجه ٠

---

(١) سورة الغاشية: آية رقم (٢٢).

(٢) أ.د/ زينب رضوان: النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي، ص١١٦،دار المعارف،القاهرة (١٩٨٢) بتصرف

كما أن حرية الرأي يظهر دور العقل في الإسلام ويعزز قيمته، وهذا بطبعه يولد فكراً حراً....

ولقد سار على هذا الضرب الصحابة الأجلاء، " فهذا أبو بكر ﷺ يقول للناس بعد ولايته إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني..، أي بالتوجيه والرأي السديد ٠

وسيدنا عمر ﷺ يقول: من رأي في اعوجاجاً فليقومه.. فيجيبه أحد الناس: والله لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناك بسيوفنا ٠

فيقول سيدنا عمر ﷺ: " الحمد لله الذي أوجد في المسلمين من يقوم عمر بحد السيف".

والإسلام يحث أتباعه في كل وقت وحين، وفي كل زمان ومكان، على الجهر بكلمة الحق والشجاعة في النصح، ويرى ذلك أفضل الجهاد ٠

ويرسخ هذا المبدأ رسول الله ﷺ فيقول: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر). (١)

وتفند أستاذتنا الدكتورة/ زينب رضوان، ادعاء أهل الديمقراطيات الحديثة بزعمهم أنهم أول من قال بحرية الرأي فتقول:

" لقد قرر الإسلام " حرية الرأي " في أكمل صورها وأوسع نظامها قبل أن تخلق ديمقراطيتهم بأكثر من ألف ومائتي عام ٠

بل أضاف سبقاً تميز به في مجال الحرية لم تصل إلى مثله أي شريعة من الشرائع الوضعية عندما أوجب على المؤمنين به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو لم يبح للناس فقط أن يكونوا أحراراً فيما يعتقدون، بل أوجب عليهم أن يقولوا ما يعتقدون أنه الحق " (٢)

وسار النورسي على ما أرساه الإسلام من مبدأ حرية الرأي وإبداء النصح وقول الحق وإرشاد الأمة إلى ما فيه خيرها ونفعها..

---

(١) ا.د/ زينب رضوان:النظرية الاجتماعية، ص١١٧

(٢) أ.د/ زينب رضوان: النظرية الاجتماعية، ص ١١٧. بتصرف.

ومن مظاهر حرية الرأي عند النورسي: خطابه الذي ألقاه في أول جلسة للبرلمان التركي بعد أن لاحظ " بأسف بالغ أن معظم النواب لا يؤدون الصلاة، كما أن تصرفات " مصطفى كمال " وسلوكه المعادي للإسلام أحزنه كثيراً " [١]

ومارس النورسي حرية الرأي من خلال سعيه " لإنشاء مدرسة الزهراء لتكون على غرار الأزهر الشريف، فكان أول من قام بإبداء هذا الرأي على السلطان عبد الحميد. " [٢]

وتتجلى حرية الرأي عند النورسي من خلال سعيه لإرساء مفهوم الحرية الشرعية وتجواله بين البلاد بإبداء رأيه في الحرية وتصحيح المفاهيم المغلوطة عنها، وإلقاءه للخطب في الميادين والجوامع " [٣] وكذلك سفره إلى دمشق " وإلقاءه خطبة كشف فيها عن الأمراض التي أصابت الأمة، وطرق علاجها وهي ما سميت بالخطبة الشامية " [٤]

ولقد دافع النورسي عن حقه في حرية الرأي من خلال دفاعه عن نفسه أثناء المحاكمات وتقييمه للأوضاع السائدة في تركيا بأنها مخالفة لمنهج الإسلام ٠

ثم إبداء رأيه في القائمين على النظام في الدولة بأنهم يحاربون الدين، وبيان أنهم يتعاملون مع الشعب بمعيارين ٠

وكل هذا استناداً إلى مبدأ حرية الرأي، حيث يقول: " استناداً إلى الحرية التامة للمحاكم من حقي أن أدافع بحرية على هذه الصورة عن حقوق حريتي " [٥]

ويبين النورسي أن تقييد حرية الرأي يدفع إلى النار والهلاك، ويسلب من العقل وظيفته ومهمته فيقول: " لو فتحت حرية الفكر والكلام للناس، ثم حوسب شخص على كلامه

---

(١) د/ فرج الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٧٥، وانظر بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص ١٨١-١٩٧

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٦٩، وانظر نفس المرجع من ٤٩٧-٥١١.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٧٧، ٣٧٨.

(٤) بديع الزمان النورسي: الخطبة الشامية، صيقل الإسلام، ص٤٧٧، ٥٢٤.

(٥) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٦٢.

أو فكره، أفلا يكون ذلك خطة مدبرة لدفع الأمة المنكوبة إلى النار" [١]

ويبرز النورسي أن حرية الرأي في الأناضول أفضل بكثير من استانبول التي يستحوذ عليها الاستبداد، فيقول: " فليشهد الجميع بأنني أفضل قمم الجبال الشاهقة في الشرق، وأفضل حياة البداوة في تلك الجبال في بلدي حيث الحرية المطلقة، على موطن النفاق الذي تسمونه أنتم قصر المدنية.

إن حرية الفكر وحرية الكلام وحسن النية وسلامة القلب التي لم أشاهدها في هذه المدنية الدنية، مستولية على جبال شرقي الأناضول بكل معانيها " [٢]

ويمارس النورسي حقه في حرية الرأي بالتصريح عن تعجبه ممن يغالطون الحق والحقيقة في تصورهم لمعيار ومفهوم حرية الرأي، فيقول:-

" إنني لأعجب كيف يتهم أناس يتبادلون فيما بينهم تحية القرآن وبيانه ومعجزاته بأتباعهم لسياسة الجمعيات السرية ؟! "

على حين يحق لمارق مثل " الدكتور دوزي " أن يفترى على القرآن وحقائقه في وقاحة وإصرار، ثم يعتبر ذلك أمراً مقدساً لأنه حرية للرأي والفكر.....

هذه حرية للرأي والفكر، أما نور القرآن الذي يأبى إلا أن يشع في أفئدة ملايين المسلمين المرتبطين بدستوره فهو خطورة تنهال عليها جميع ألفاظ الشر والخبث والسياسة " [٣]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا: أن النورسي استطاع من خلال ممارسته الفعلية لحرية الرأي أن يغير الكثير من الأوضاع الفاسدة، وأن يكشف عور السياسة ويوقف كثيراً من سياستها الاستبدادية.

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٥٩.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٦١.

(٣) إحسان قاسم: النورسي حياته وآثاره، ص٩١.

الحرية الفكرية

تعتبر الحرية الفكرية في الإسلام من أهم الحقوق، بل هي فريضة واجبة افترضها المولى سبحانه وتعالى على الإنسان.

وكما أن الإسلام جاء ليحرر الإنسان من ظلم الرق والاستعباد، فإنه عمد أولاً لتحرير الفكر من سجنه (أي من الأوهام والخرافات والأساطير) ولكي يعتق العقل من قيده.

ولقد جعل الإسلام من الكون كله مادة للفكر والتعقل، ويستفيض القرآن الكريم بالكثير من الآيات البينات، التي تستنهض عقل المسلم للتفكر والتدبر، قال تعالى { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ }[1]

وأيضاً في قوله {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ }[2]

وقوله تعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }[3]

وأيضاً في قوله تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }[4]

من هذا كله يتأكد لنا أن التفكير فريضة ومطلباً ضرورياً في شئون الدين، فالتفكر والتعقل والتدبر والنظر كلها أمور تتعلق بالإنسان وخاصة المؤمن، لما لهم من دور في بناء العقيدة الصحيحة، والانتفاع بالملكات التي منحها الله لنا لتعمير هذا الكون.

ويؤكد النورسي على قيمة حرية الفكر في الإسلام عن غيره من الأديان، فيقول:

---

(١) سورة البقرة: آية رقم (٢١٩).

(٢) سورة الروم: آية رقم (٨).

(٣) سورة آل عمران: آية رقم (١٩٠-١٩١).

(٤) سورة الحشر: آية رقم (٢١).

" إن النصرانية ولا سيما مذهب الكاثوليك، قد استغله رجالات الدولة وخواص الناس كأداة للتحكم والاستبداد، فكان الخواص يديمون نفوذهم على العوام بتلك الوساطة، حتى أصحبت وسيلة لسحق أصحاب الهمم والحمية من العوام الذين كانوا يطلق عليهم أسم (الفوضويين والدهماء) وباتت وسيلة لسحق المفكرين من دعاة الحرية، الذين كانوا يتصدون لاستبداد الخواص ومظالمهم..بينما في الإسلام لا يحق لأي مظلوم كان ولا لأي مفكر كان أن يشكو من الدين المحمدي (على صاحبه الصلاة والسلام) والشريعة الإسلامية، لأن هذا الدين لا يسخطهم (أي المفكرين ودعاة الحرية) بل يحميهم..

فضلاً عن أنه يستشهد العقل وينبهه بإحالة كثير من الأمور – في القرآن الكريم – إلى العقل ويحثه على التدبر والملاحظة بقول تعالى:[أفلا يتفكرون... أفلا يتدبرون... أفلا تعقلون] فيمنح لأهل العلم وأرباب الفكر والعقل بهذا مقاماً رفيعاً بأسم الدين، ويوليهم أهمية خاصة .

فلا يعزل العقل (كالنصارى) ولا يحجر على عقول أهل الفكر ويكمم أفواههم، ولا يطلب التقليد الأعمى كما هو في المذهب الكاثوليكي " [1]

" وعلى هذا، واستناداً إلى مبدأ حرية الفكر والوجدان " [2] كان يستنهض النورسي الأمة الإسلامية لإظهار فكرها الإسلامي الراقي واثبات وجودها، وبيان أن فكرهم وعقلهم الناضج يؤكد عدم حاجتهم إلى وصاية الأجانب عليهم فيقول:

" هذه المشروطية الشرعية التي اختمرت بخميرة الشورى الشرعية تدعوكم إلى الاختبار والامتحان، وتريد أن تراكم أنكم قد بلغتم سن الرشد فلا تحتاجون إلى وصاية .

فهيئوا أنفسكم للامتحان، واثبتوا وجودكم بالاتحاد، وبينوا لها أن فكركم ووجدانكم الشخصيين هما كقلب الأمة وعقلها المشترك بالحمية الدينية الملية، وبخلافه ستلغى أمركم

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٦١، ٥٦٢، وانظر بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٩٥

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٤٠٨.

ولا تمنحكم شهادة الحرية "[١]

ويبين النورسي أنه يريد من الأمة أن تحصل بفكرها الحرّ وعقلها المستنير على شهادة الحرية لكي تتصدى " لأصحاب الأفكار الفاسدة الذين يريدون الاستبداد والمظالم تحت ستار الحرية "[٢] ويؤكد النورسي أن الحرية الفكرية هي السبيل للتقدم والرقي، بشرط أن تعيش في بوتقة الحرية الشرعية العادلة، فيقول: " فإذا ما عاشت الآن هذه الحرية الشرعية العادلة ولم تفسد فستكسر أغلال فكر الإنسان وتحطم الموانع الموضوعة أمام استعداده للرقي، فتوسع ميدان حركته سعة الدنيا كلها، حتى أن قروياً مثلي يستطيع أن ينظر إلى إدارة الدولة التي هي في أوج العلا والثريا، ويربط نوى الأماني والاستعدادات هناك ٠

وحيث أن كل فعل وطور يصدر يلقى صداه هناك، لذا ستتعالى همته كالثريا وتتكامل أخلاقه بالدرجة نفسها، وتتوسع أفكاره بقدر سعة الممالك العثمانية، وسيسبق بإذن الله الأفذاذ من أمثال أفلاطون وابن سينا وبسمارك وديكارت والتفتازاني.

نحن على أملٍ عظيم أن تثمر مزرعة الأناضول وروم ايلي شباناً غياري ٠

فلا جرم أن الممالك العثمانية محل ظهور الأنبياء ومهد الدول الحضارية ومشرق شمس الإسلام، فإذا ما نمت هذه الاستعدادات المغروزة في الإنسانية بغيث الحرية، فأنها تتحول إلى شجرة طوبى من الأفكار النيرة، وتمتد أغصانها إلى كل جهه، وسيجعل الشرق مشرقاً للغرب إن لم تفسد وتنخر بالكسل والأغراض الشخصية "[٣]

فالنورسي يوضح أن التقدم والرقي الحضاري وتكامل الأخلاق يتحقق إذا " قبلنا بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائق الإيمان "[٤]

كما أن موانع التقدم والرقي تزول " بعد انتشار حرية الفكر "[٥]

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٦٤.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٦٨.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٧٠.

(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٩٥.

(٥) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٩٦.

ويكشف النورسي عن حقيقة هامة هي أن الاستبداد مقيد للحريات بما فيها الحرية العلمية والفكرية، فيقول: " ولا يبقى بعد هذا الاستبداد المطلق الموجه إلينا أي نوع من أنواع الحرية لا الحرية العلمية، ولا الحرية الوجدانية، ولا الحرية الدينية "[١]

ولهذا يواجه النورسي أعداء الحرية الفكرية الذين يحاربون خلاصة فكره (وهي رسائل النور) ذلك الفكر الذي ولد من رحم معاناة تعرضت لها شخصيته، فيقول:

" لا توجد حكومة في الدنيا مهما كان شكلها تمنع محصولاً مباركاً لوطنها ومنجماً عظيماً لقوتها المعنوية مثل هذه الرسائل، أو تحكم على ناشرها ٠

إن الحرية التي يتمتع بها الرهبان في أوربا ترينا أن أي قانون كان لا يتبع تاركي الدنيا والعاملين بقواهم الذاتية للآخرة والإيمان..

وأجزم أنه لا قانون في الدنيا يقول بمنع أو يقدر أن يمنع كتابة الخواطر العلمية بشأن الإيمان الذي هو مفتاح السعادة الأبدية لرجل عجوز محكوم عليه بالتغريب لمدة عشر سنوات "[٢]

" أيها البائسون.. إن رسائل النور لا علاقة لها بالسياسة، بل تقوم بتحطيم الكفر المطلق - الذي أسفله الفوضى وأعلاه الاستبداد المطلق- وتفتيته ورده على أعقابه، وأكبر برهان على ذلك هو رسالة " الثمرة " التي هي بمثابة دليل واحد من بين مائة حجة ودليل على أن رسائل النور

تسعى لتأسيس الأمن والنظام والحرية والعدالة في هذا البلد "[٣]

و" لنفرض – فرضاً محالاً – وكما وقع في إخبار المفسدين أن " رسائل النور " لا تتوافق مع بعض سياسات الحكومة وبعض قوانينها، أو تتخالف معها وأنها قناعات سياسية مغايره وأفكار مختلفة، وأن عموم الرسائل لا تبحث في الإيمان بل في السياسة ٠

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٣٤٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٥٩.

(٣) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٣٣٤.

فإذا قبلت فرية جلية مثل هذه فرضاً، أقول جواباً:-

لما كانت الحرية في أوسع حالها هي الجمهورية، وأن الحكومة قد رضيت بأكثر صور الجمهورية تحرراً نظاماً لها، فإن من البديهي أن القناعات العلمية والأفكار الصائبة الحقيقية والقطعية وغير القابلة للرفض، لا يمكن لحرية الجمهورية أن تتسلط على تلك الحرية العلمية باستبداد، بشرط عدم إخلالها بالأمن، ولا يمكن أن تعد تلك الحرية (الفكرية) جريمة ٠

إذاً ٠٠ أليس من حقي أن أطالب بحقي هذا (أي حقه في الحرية الدينية والفكرية والعلمية وغيرها من الحريات) وحق حرية " رسائل النور " [١]

ثم " بأي صورة تكون اللطمات العلمية التي أنذلها على فلاسفة أوربا وأضرت بها وجه كل ملحد يعمل لحساب الأجانب أنها ضد الحكومة ؟

إننا لا نستوعب هذا، ولا نورد احتمالاً له قط.. بل نرى أن حكومة الجمهورية الداعية إلى الحرية ترحب بهذه اللطمات العلمية المحقة ٠

ترحب بها باسمها وباسم القانون، فلا تعتبرها مواد مسؤولية واتهام " [٢]

نعم " نحن لا نقصد الاصطدام بكم في أثناء سيرنا نحو هدفنا، ولكن لو اصطدمت كلمات قوية في " رسائل النور " في أثناء حركتها العلمية الفكرية بكم فلا بد أن يكون ذلك موضع العفو والتسامح، حيث أن هدف " رسائل النور " الإيمان بالآخرة " [٣]

ويبين النورسي لأصحاب السلطة في البلاد أن تقييدهم لحرية الفكر وباقي الحريات التي أقرها الإسلام وأرسى قواعدها للبشرية فيه نكران للدين وإهانة للأجداد الذين عاشوا في كنف هذه الحريات فيقول: " أنتم تنكرون دينكم وتهينون أجدادكم – بوصفهم بأنهم كانوا على ضلالة – (أي فكرية) وتنكرون نبيكم ﷺ ولا تقبلون بقوانين قرآنكم

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٧٥.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٨١.

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٨٥.

الكريم، بينما لا تتعرضون لليهود ولا للنصارى ولا للمجوس ولا للمنافقين المرتدين من الفوضويين من أنصار البلشفية، وذلك تحت شعار " حرية الفكر وحرية الوجدان "."[١]

بل " إن الذين يقرأون مؤلفات ضارة كالسم الزعاف والتي تهاجم القرآن، كمؤلفات " الدكتور دوزي " وأمثاله من الزنادقة لا يعدون مذنبين حسب دستور حرية الفكر والحرية العلمية ٠

بينما يعد ذنباً قراءة وكتابة رسائل النور" [٢]

" ومن المعلوم أن عدم التعرض لكتب الملاحدة وبعض الساسة المتزندقين ومجلاتهم وجرائدهم مع ضررها الفادح للأمة والبلاد والأمن العام تحت ستار الحرية العلمية، يدفعنا إلى القول والتساؤل ؟ "[٣]

" إن كان بمقدوركم رفع حرية الضمير والمعتقد وحرية الفكر من البلاد ومن الحكومات... وإنكار كون مخالفة تلك الرسائل مخالفة فكرية وعلمية فحسب..

أقول إن كان بمقدوركم هذا فاعتبروني مذنباً بتلك الأمور، وإلا تكونوا أنتم المذنبون الرهيبون في محكمة العدالة والحق والحقيقة " [٤].

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٠٩.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٣٩٨، وانظر، بديع الزمان النورسي، الشعاعات، ص ٣٤٠.

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٠٥.

(٤) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٤٨٤.

الحرية السياسية

وهي التي يمنح بمقتضاها الحق لكل فرد عاقل رشيد في أن يشترك في إدارة شئون الدولة ويرقب أعمال السلطة التنفيذية.

وهذا ما قرره الإسلام عندما أوجب أن يكون اختيار الخليفة نفسه – (رئيس الدولة) موكولاً إلى الأمة الإسلامية ٠

وفي نفس الوقت أوجب على السلطة التنفيذية ألا تبرم أمراً ذا بال من أمور الدولة إلا إذا رجعت فيه إلي المسلمين..

وتوكيداً لهذا الأمر الجليل أمر الله رسوله محمد ﷺ ألا يستبد بشئون المسلمين، وأن يشاورهم في أمورهم، فقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ }[1]

وقال تعالى { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ }[2]..[3]

ومن هذا يتبين أن الإسلام أرسى قواعد وأسس الحرية السياسية " وهي ما تعرف اليوم باسم " الديمقراطية " بأشمل صورها، وجعلها من أبرز سماته، وأعطى للفرد حق الانتخاب وحق الترشيح وحق حرية الاجتماع وحق الاحتجاج ٠

وتتجلى هذه الحقوق واضحة وجلية في سقيفة بني ساعده، التي شهدت ممارسة هذه الحقوق وبصورة عملية وواقعية، وتمخض عنها اختيار سيدنا أبو بكر ﷺ خليفة للمسلمين ٠

ويستدل النورسي على الحرية السياسية في عهد الصحابة، بقوله: " والبرهان الباهر على هذا الادعاء هو ما كان يرفل به عهد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين من "

---

(١) سورة آل عمران: آية رقم (١٥٩)

(٢) سورة الشورى: آية رقم (٣٨)

(٣) أ.د/ زينب رضوان: النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي، ص ١١٥، ١١٦، دار المعارف، ١٩٨٢م.

الحرية " و" العدالة " و " المساواة " على الرغم من الوحشية السائدة والتحكم المقيت " [١]

ويبين النورسي في موضع آخر على أن الشريعة الغراء جامعة لكل ما تتطلبه النظم السياسية من الحرية والعدالة والمساواة، فيقول: " فالحرية والعدالة والمساواة التي كان يرفل بها خير القرون والخلفاء الأربعة ولا سيما ذلك الوقت، دليل على أن الشريعة الغراء جامعة لجميع روابط المساواة والعدالة والحرية ألحقه، فآثار سيدنا عمر وسيدنا على ﷺ وصلاح الدين الأيوبي

دليل وأي دليل على هذا الادعاء" [٢].

وهكذا يكشف لنا: أن النورسي يرد بهذا القول على الذين ينادون بفصل الدين عن الدولة .

وفي نفس الوقت يبين بطلان قول القائلين بأن الحرية السياسية هي نتاج مدنية أوربا .

ويؤكد أن الحرية السياسية والعدالة والمساواة نابعة من الإسلام ، والذي يؤيد هذا هو آثار الصحابة والتابعين.

ويصرح النورسي بتناقض السياسيين، فيقول: " وقد كنت أرى – في بداية عهد الحرية – ملحدين داخلين ضمن الاتحاديين يقولون: إن في الإسلام والشريعة المحمدية دساتير قيمة شاملة نافعة جداً وجديرة بالتطبيق للمجتمع البشرى، ولا سيما للسياسة العثمانية..

أما الآن فهناك من يعتقد بنفسه الإيمان، إلا أنه يوالي التيارات المناهضة للشريعة والموافقة للأجانب تحت اسم المدنية " [٣].

ونلحظ أن النورسي حين يتكلم عن الحرية السياسية، فأنه يتكلم عنها في إطار ديني " كالأفغاني " أي دولة قائمة على دين ودنيا، ولكن يتركز مفهومها عند النورسي على إقامة الشورى بجميع جوانبها وأركانها، مع ضمانها لتفعيل حرية العقيدة، فيقول:

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٨٢.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٨٦.

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٨٩.

" نحن نحب الدين ونحب الدنيا أيضاً لأجل الدين، ولا خير في الدنيا بلا دين..

وما دامت الحاكمية للشعب في المشروطية " الشرعية " فلا بد أن يثبت الشعب وجوده وشعبنا مسلم ومسلم فقط، فليست هناك رابطة حقيقية وقوية غير الإسلام " (١).

ويؤكد النورسي أن الجمهورية القائمة على الحرية السياسية الشرعية شيء متأصل في الإسلام، ويستشهد بالخلفاء الراشدين، فيقول:- " لقد كان الخلفاء الراشدون خلفاء ورؤساء جمهورية في الوقت نفسه، فالصديق الأكبر ﷺ كان دون شك بمثابة رئيس جمهورية للعشرة المبشرة والصحابة الكرام، ولكن ليس تحت عنوان أو شكل فارغ، بل كل منهم رئيس جمهورية متدين، يحمل معنى العدالة الحقيقية والحرية الشرعية " (٢).

ولكن رغم مطالبة النورسي بالحرية السياسية في إطار الشريعة، فإنه يرفض استخدام الدين كأداة لتحقيق الأغراض السياسية، ولكن يجعل من السياسة آلة للدين، فيقول:

" لا نجعل الدين أداة للسياسة، بل نتخذ السياسة آلة وفي مصالحة ووئام معه " (٣).

فيا ليت هذا القول يصل إلى مسامع الأحزاب والجمعيات السياسية التي ترفع شعار الدين لتهييج مشاعر الأفراد ضد سياسة السلطان حين لا تُلبى مطالبهم، أو تتعارض أهدا فهم مع أهداف السلطة القائمة.

ومن ناحية أخرى نرجوا أن يصل كلام النورسي إلى مسامع أرباب السلطة الذين يستخدمون الدين كأداة لتحقيق مآربهم من خلال الفتاوى الدينية المطبوخة ببهارات تأويل الأدلة الشرعية.

ويرى النورسي أنه " لا ينبغي ولا يحق لأرباب السياسة الذين بيدهم السلطة في آسيا التي تشرفت بالأنبياء أن يحملوا الشعب على التخلي عن الصلاح والتقوى اللذين هما

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٩٧، وانظر، صيقل الإسلام، ص٥٢١.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٥٤، وانظر، الشعاعات، ص٤٢٥،

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٣٩، وانظر، صيقل الإسلام،ص ٣٦٢ وانظر، الشعاعات، ص٣٦٣.

بمثابة الغذاء والعلاج من الحاجات الضرورية "[١].

ولعل النورسي يريد أن يوضح أن الحرية السياسية تستوجب إتاحة حرية العقيدة.

ويرفض النورسي " استغلال السياسة وجعلها آلة ووسيلة لتشجيع الإلحاد والكفر المطلق "[٢]

ويرى " أن إهمال السياسة الإسلامية "[٣]هو الذي جعل " السياسة الحاضرة الدائرة رحاها على المنافع وحش رهيب "[٤]

وجعل " السياسة الحاضرة شيطان في عالم الأفكار ينبغي الاستعاذة منها "[٥]

ويبين النورسي أن إهمال الحرية السياسية الإسلامية أدى إلى خلل السياسة في تركيا، فيقول: " إن السياسة الحالية لاستانبول مرض شبيه بمرض (اسباني) يسبب الهذيان "[٦].

لهذا سعى النورسي لعلاج هذا المرض وإزالة ما يعوق الحرية السياسة، وذلك بإقراره للمشروطية في ضوء الشريعة، وسعيه لترسيخ مفهوم الشورى الإسلامية كبديل للمشروطية الغربية، فيقول: " إن مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية إنما هو الشورى، فالآية الكريمة تأمرنا باتخاذ الشورى في جميع أمورنا، إذ يقول سبحانه: { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ }[٧] أجل فكما أن تلاحق الأفكار بين أبناء الجنس البشري إنما هي نتاج الشورى على مر العصور حتى أصبحت مدار رقي البشرية وأساس علومها، فإن سبب تخلف القارة الكبرى – آسيا – عن ركب الحضارة إنما هو لعدم قيامها بتلك الشورى

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٤١٤.
(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٣٣٣. وانظر، سيرة ذاتية، ص٣٤١.
(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٦٥، وانظر، سيرة ذاتية، ص١٤٢.
(٤) بديع الزمان النورسي: مكتوبات، ص٦٠٤، وانظر الكلمات، ص ٨٥٠.
(٥) بديع الزمان النورسي: مكتوبات، ص ٣٤٦، وانظر الكلمات، ص ٨٦٢.
(٦) بديع الزمان النورسي: مكتوبات، ص٦٠٨.
(٧) سورة الشورى: آية رقم (٣٨)

الحقيقية "[١].

ولهذا فأن " ما يفتح حظ آسيا وسعد الإسلام هو الشورى والحرية المشروطتان بتربية الشريعة الغراء "[٢]

كما " أن الشورى الحق تولد الإخلاص والتساند "[٣].

ولقد جاهد النورسي لتحقيق الحرية السياسية من خلال الشورى الشرعية فأخذ يجوب البلاد " لأجل إفهام الشورى الشرعية للعشائر فهماً صائباً وحملهم على قبولها "[٤]

وسعى النورسي كذلك إلى " تشكيل مجلس شورى علمي...، وجعل هذا الأمر مشروط بأن تكون الشورى مهيمنة في كل شيء "[٥].

وكان النورسي يرسخ مبدأ الشورى مع طلابه، فكان يقول: " أنتم يا أخوتي طلابي – بما هو فوق حدي – من جهة، وزملائي في الدرس من جهة أخرى، ومساعدي وأصحاب الشورى من جهة أخرى "[٦].

كما كان ينصح طلابه دائماً بقوله " صونوا آراءكم من التشتت بإقامة الشورى الشرعية بينكم "[٧]

ومن خلال ما سبق يتضح أن النورسي يريد تطبيق الحرية السياسية كما أرساها الإسلام وسار على ضربها الصحابة رضوان الله عليهم، مع عدم جعل الدين أداة للسياسة أو جعل السياسة آلة لنشر الإلحاد، ثم يوضح النورسي: أن الحرية الحقيقية هي الشورى الإسلامية لأنها مفتاح سعادة المسلمين وسبيلهم للتقدم.

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥١٤.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٧، وانظر نفس المرجع ص ٤٦٢، ٥١٤.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥١٤.

(٤) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١١٣.

(٥) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٧، وانظر في نفس المرجع، ص ٣٥١.

(٦) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٤٩.

(٧) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٣١٩.

ثم يبين النورسي بأن الحرية السياسية تستلزم تفعيل أحد أركانها ومبادئها وهي المساواة في الحقوق والواجبات، وذلك من خلال إجابته على سؤال تم توجيهه إليه عن " كيفية مساواة المسلمين مع غير المسلمين "[١] فيقول:" المساواة ليس في الفضيلة والشرف، بل هي في الحقوق فالسلطان الملك والفقير المسكين كلاهما سيان في الحقوق ٠

فيا للعجب.. إن الشريعة التي نهت عن تعذيب نملة وأمرت ألا تداس عمداً، أتهمل حقوق بني آدم ؟

كلا ٠٠ ولكن نحن الذين لم نمتثل بالشريعة..

ألا تكفي لتصحيح خطئكم هذا، محاكمة أمير المؤمنين الإمام علي ﷺ، مع يهودي فقير ومرافعة صلاح الدين الأيوبي – وهو مدار فخركم – مع نصراني مسكين "[٢].

ويبين " الطهطاوي " وهو يعرض في " تلخيص الإبريز " الحرية السياسية في فرنسا وتقديمها كنموذج للنظام الذي يجب أن يتبع، بأن الحرية والمساواة شيء راسخ في شريعة الإسلام، وكان المجتمع ينعم بها في عهد الخلفاء الراشدين ٠

ويستشهد الطهطاوي بقصة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ مع المصري الذي جاءه يشكوا إليه ابن عمرو بن العاص ﷺ..

فلما حضر عمرو بن العاص وابنه في موسم الحج، أعطى سيدنا عمر ﷺ الدرة للمصري وقال له اضرب بن الأكرمين ٠

ثم التفت سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وقال لسيدنا عمرو بن العاص ﷺ قولته الخالدة: " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً "[٣]

ويؤكد " خير الدين التونسي " أن أهم مقومات الحرية السياسية، بل " ومن أهم

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٨، ٣٩٩.

(٣) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص ٥٥، ٥٦، نقلاً من، رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبريز، ص ٢١٨، ٢١٩.

أصولها هي المشورة التي أمر الله بها رسوله المعصوم ﷺ، مع استغنائه عنها بالوحي الإلهي وبما أودع الله فيه من الكلمات، فما ذاك إلا لحكمة أن تصير سنة واجبة على الحكام بعده .

ويستشهد خير الدين التونسي بقول " ابن عربي " " بأن المشاورة أصل في الدين وسنة الله في العالمين، وهي حق على عامة الخليقة، من الرسول إلى أقل الخلق "[1].

ويستشهد " جمال الدين الأفغاني " بوفود العرب التي حملت معها من شبه الجزيرة أخلاقاً فاضلة.. مثل الأنفة من الكذب، والوفاء بالعهد، ومطلق العدل، وكمال الحرية والمساواة الحقيقية بين الملك والسوقة "[2]

(١) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص١٢٣، نقلاً من، خير الدين التونسي: أقوم المسالك، مقدمة ص ١٠.

(٢) د/ عزت قرني: العدالة والحرية، ص ٢٤٣، نقلاً من، (خاطرات الأفغاني) جمعها محمد باشا المخزومي- طبعة بيروت – ص ٩٦، سنة ١٩٣١م.

obeikandl.com

حرية الحوار

بداية يحسن بنا أن نعرض لمفهوم الحوار حتى نمضي قدماً على ضوء تحديد المفهوم فنقول:

الحوار: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء..

يقال: حار إلى الشيء وعنه، حواره ومحاراً ومحاورة: رجع عنه وإليه.

وفي الحديث: " من دعا رجلاً بالكفر وليس كذلك حار عليه " أي رجع إليه ما نسب

والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.

والمحاورة أيضاً: المجادلة

والحوار بمعنى تراجع الكلام ورد ذكره في القرآن في ثلاثة مواضع، منها ما حكي في قصة أصحاب الجنة، قال تعالى {وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}(١) ومن هذا يفهم أن الحوار مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين.

والتحاور أيضاً: التجاوب وتبادله وتداوله.

والحوار ليس قصراً على الكلمات اللسانية المسموعة، إذ قد يتجاوز إلى الإشارة الموضحة والبسمة المشرقة، والحس الخافق، والعمل الصالح، والموقف الصالح، حتى الصمت لا يبعد أحياناً أن يتأتى حواراً.

وإذا قلنا أن من معاني الحوار مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، فإن المجادلة تشترك مع الحوار في كونها مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين.

إلا أن المجادلة تأخذ طابع القوة والغلبة والخصومة •

وأصل كلمة الجدل في اللغة يفيد الشدة والغلبة." (٢)

---

(١)سورة الكهف:أية رقم (٣٤).

(٢) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح:د/ سامي عفيفي، قضايا معاصرة في فكر النورسي، ص٩- ١١.

obeikandl.com

والجدل ورد في القرآن الكريم في مواضع كثير، يهمنا منها الآن ثلاثة جاءت غير مذمومة:

١- قال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[١]

٢- قال تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[٢]

٣- قال تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ}[٣]

فالجدل لم يؤمر به ولم بمدح في القرآن إلا مقيداً بالحسنى.

إذن فالجدل والحوار: يلتقيان في أنهما حديث أو محاوره أو مناقشة بين طرفين، لكن يفترقان بعد ذلك.

وإذا كان مفهوم الحوار هو التجاوب، فمن البداهة القول بأن الإنسان كائن عقل واجتماع وكائن علاقة وحاجة.

وقد لا يخفي على أهل العلم.. أن الحوار الحر يولد الأفكار الجديدة في ذهن المتحاورين ويساعد على تقريب المسائل بين المتحاورين بعيداً عن الإلزام والاستبداد •

كما أنه عامل لحل كثير من القضايا والمشاكل التي لولا الحوار لتولد العنف والفوضى وشاع الخلاف.

وليس هناك من شيء أنفع من تربية البشر وإصلاح الشعوب وتقويم النظر من حوار بناء يعالج شطط الإنسان وجموحه، الأمر الذي يؤدي إلى أن تتحرك نفس الإنسان من

---

(١) سورة النحل: آية رقم (١٢٥)

(٢) سورة العنكبوت: آية رقم (٤٦)

(٣) سورة المجادلة: آية رقم (١)

خمود وأن تستيقظ من سبات. "[١]

ومن يطالع كليات " رسائل النور " للنورسي يجد أن الحوار بمفاهيمه ومعانيه التي ترقى بالإنسان قد جاءت في مواضيع كثيرة، أهمها:-

١- حوار الإنسان مع نفسه: وهذا يؤدي إلى الالتزام بالقيم حينما يسعى الإنسان إلى تزكية نفسه والسمو بها.

٢- حوار الإنسان مع الإنسان: وفي ظل هذا الحوار تقوم العلاقات الإنسانية بين الأفراد والجماعات والأمم والشعوب، لأن الإنسان في المجتمع الإسلامي والإنساني جزء من كل يحمى المجتمع ويحتمي به، ويعطيه ويأخذ منه، وليس هناك انفصال في الإسلام بين مسئولية الفرد نحو المجتمع، ومسئولية المجتمع نحو الفرد.

٣- حوار الحضارات: لأن العناصر الخارجية ضرورة حتمية لا تستغني عنها حضارة مهما سمت وارتقت.

هذا فضلاً عن توجيهات الرسائل لتقويم السلوك الحواري، وكيفية التعامل الحواري مع الآخرين بكياسة وعقلانية وتسامح مستنير. "[٢]

والقارئ لكليات " رسائل النور " يجد أنها جميعاً تتضمن على الكثير من المحاورات البناءة والهادفة، والتي من خلالها يريد النورسي أن يرسخ أن المكاشفة والحوار ضرورة حياتية، وتحرير للعقل والفكر من سيطرة التعصب والجهل .

كما أن الحوار يصحح المفاهيم ويقرب وجهات النظر، ويولد المحبة والأخوة ويشيع الأمن والاستقرار.

" أما الانغلاق والانكفاء فهو قاتل للإنسانية، والانغلاق ليس بالموقف اللائق

---

(١) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: قضايا معاصرة في فكر النورسي، ص١١-١٣، وانظر/ إبراهيم أحمد الوقفي: الحوار لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، ص٤٩- ٥٧، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣. بتصرف.

(٢) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: قضايا معاصرة في فكر النورسي، ص١٣-١٥. بتصرف.

بالعقلاء.

والعزلة الحضارية والجهل صنوان.. كلاهما تخلف.. وكلاهما حجاب يمنع وصول الضوء وكلاهما عقبة كأداء في طريق التقدم والتطور "[١].

ولقد أصبح الحوار في أيامنا هذه أكثر من أي وقت مضى، من القضايا الهامة والملحة لحل المشاكل العالقة والخانقة، سواء وضع هذا الحوار في إطار الحوار الحضاري.. أو الحوار مع الغرب.. أو في إطار حوار الأديان، فجميعها تتلاقى في إطار واحد لأجل ضمان حرية الإنسان الحضارية والثقافية والدينية، ولأجل بناء عالم تسود فيه المحبة المتبادلة والتعاون واحترام حقوق الغير.

ولكي يتحقق الحوار الهادف البناء، فأنه لا بد وأن يوضع في إطار من الحرية، بعيداً من استبداد ناصية الحوار، والدعوى بامتلاك الحق.

هذا بالإضافة إلى البعد عن الأهواء والمزايدات و" الفرعنة "[٢] والأنانية والغرور والتحقير والاستخفاف بالآخر، والبعد عن الفكر الاستداري الذي يجوب بأصحابه في حلقة مفرغة ومجافية لمبدأ التسليم.

إن حرية الحوار تستدعي تأصيل الحوار المنطلق من السلم والتعاون والتفاهم والتعايش وهذا المنطلق مصدره القرآن، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[٣]

والنورسي يتخذ من هذه الآية وغيرها من نصوص القرآن منطلقاً لدعوته للحوار الحضاري مع الغرب، ويرفض أن يقوم هذا الحوار على نظرة عدائية، بل يقوم على حرية فكرية وعقدية فيقول: " يجب أن لا تنظر للأجانب نظرة عداء، بل ربما يتوجب علينا أن تنظر إليهم كأصدقاء ومساعدين، لأنهم أصبحوا وسيلة لسعادتنا ولإعلاء كلمة الله في هذا

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٣٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١٧ - ١٨١، وانظر الملاحق، ١٠٩، وانظر، هذه المعاني وغيرها في مرشد أهل القرآن لبديع الزمان النورسي، ص ٢٠٩ - ٢١٠،

(٣) سورة الحجرات: آية رقم (١٣)

الزمان لكونهم وسطاء لرقينا ومشوقين "[١]

إذاً فالنورسي يريد إقامة علاقات حوارية بعيداً عن نظرة العداء لنتجاوز الصدام الذي يسببه التنازع والصراع والتدافع بين الأمم والثقافات من أجل البقاء، وأن يقتنع العالم الإسلامي والغربي بأن العلاقة بينهم يجب أن تكون على أساس الإخوة الإنسانية انطلاقاً من قول رسول الله ﷺ (كلكم لآدم وآدم من تراب).

لذلك فإن مفهوم الحوار الحضاري في رسائل النور يقدم بديلاً موضوعياً لفكرة صدام الحضارات من خلال عرضه مبدأ " التكامل " بدل " الصراع " و" والتعايش " بدل " الإقصاء "[٢] شريطة أن يقوم الحوار بين الحضارات على قدم المساواة، وعلى احترام تعدد الثقافات، وهو ما نستشفه من قول النورسي: " إعلم أن شرط انتظام الهيئة الاجتماعية، أن لا تتجافي طبقات الإنسان، وأن لا تتباعد طبقة الخواص عن طبقة العوام، والأغنياء عن الفقراء بدرجة ينقطع خيط الصلة بينهم "[٣]

وهذه المقولة تعكس رؤية النورسي في الدعوة لتكامل الحضارات عبر نظام رباني تنشده الإنسانية، ينتج عنه التآلف والتساكن وتعميم الخير ودفع الشر " لأن الخير هو أصل العالم والشر تبعي، ولأن الخير كلي والشر جزئي، لذلك لا بد من انتصار قوة الخير على قوة الشر "[٤] من أجل نجاح مشروع عالم تتعدد فيه الهويات الثقافية..

وينطلق النورسي في حواره الحضاري من منطلقات أساسية لا غنى لهذا الحوار عنها، تبدأ بالإيمان، ثم القيم الأخلاقية والروحية، ويلي ذلك قبول التكامل مع الحضارات على أساس " خذ ما صفا ودع ما كدر "[٥] فنأخذ ما يتوافق مع شريعتنا ونرفض الاتجاهات

(١) د/ آزاد سعيد: أعمال مؤتمر " ممارسة حياة إيمانية فاعلة "، ص١٠٧، استانبول، ٢٠٠٤.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١٤١، وانظر إلى ما يتطلبه أدب الحوار، لشيخ الأزهر أ.د/ محمد سيد طنطاوي: أدب الحوار في الإسلام، نهضة مصر، ٢٠٠٣م.

(٣) بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز، ص٥٤.

(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٣.

(٥) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٣٦، ٨٥٤، وانظر صيقل الإسلام، ص ٤٦٨، سيرة ذاتية، ص٨٦.

المادية والمفسدة، ثم الإقناع والبراهين للإيضاح والتفاهم، وهذه المنطلقات في حد ذاتها كفيلة بضمان حرية الحوار فلا يجبر أحد على أحد.

وتأسيساً على ذلك فأن الحوار بين الحضارات في رسائل النور لا ينحصر في مجرد حوارات كلامية بين الناس أو خطب رسمية متبادلة في المحافل والمنتديات والمؤتمرات، بل من فلسفة نابعة من جوهر الإيمان،

لقد كانت الخلفية الروحية تشكل في فكر النورسي المحرك الرئيسي في نظرته للحضارات ولهذا فهو يرى أن أزمة العالم رغم امتلاكها الكثير من الخيرات، هي أزمة روحية في المقام الأول، ولا يمكن أن يخرج هذا العالم من أزمته دون مراعاة الجوانب الروحية، وإلا فإن مصير البشرية يبقى مجهول العواقب، فيقول: " ترى هل يمكن أن يسعد إنسان بمجرد تملكه ثروة طائلة.. وهو المصاب في روحه ووجدانه "[١]

إذا فالنورسي يطرح قضية الخواء الروحي والإيماني على طاولة الحوار باعتبار أن الإنسان هو أساس الحضارات ومبدعها.

وقد وظف النورسي الخطاب القرآني في الحض على إقامة علائق ودية بين المجتمعات الإنسانية، حيث سعى في رسائل النور (المكتوبات) " إلى استثمار المخزون الإيماني لتحسيس العالم بضرورة التكامل ونبذ التناكر والتحاكم " [٢]

وبناءاً على ذلك فإن للإيمان دور جوهري في إشاعة التفاهم بين شعوب العالم لما يمتلكه من سلطة روحية قوية، تؤدي كما ورد في الرسائل إلى " تشكيل نظام إنساني بديع يتكسر فيه الحقد والكراهية بين شعوب العالم "[٣]

وبدون الارتكاز على قاعدة الإيمان التي هي أهم القواعد، تتناسل آلام وأحزان البشرية وتسودها التفرقة ويعتريها القلق في حاضرها ومستقبلها "[٤] وبالتالي تنعدم فيها

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١٧٧.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص ٤١٣، ٤١٤.

(٣) بديع الزمان النورسي: المثنوي، ص ١٥٧.

(٤) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١٧٤، ١٧٥.

مؤشرات الحوار الحضاري بين الشعوب.

ويدعوا النورسي للتحاور مع " مدنية المؤمنين لأن باطنها أعلى من ظاهرها، ومعناها أتم من صورتها، وفي جوفها أنسيه وتحبب وتعاون.

والسر: أن المؤمن بسر الإيمان والتوحيد يرى أخوة بين كل الكائنات، وأنسيه وتحبباً بين أجزائها، لاسيما بين الآدميين، ولاسيما بين المؤمنين، ويرى أخوة في الأصل والمبدأ والماضي، وتلاقياً في المنتهى والنتيجة في المستقبل "[1]

وينطلق النورسي في حوار الأديان من قوله تعالى" {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا } "[2]

ولقد عمل النورسي في حوار الأديان على إدراج النقاط المشتركة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية، والتي تضمن إمكانية العمل المشترك بين المسلمين والمسيحيين ضد الإلحاد، بناءاً على حقيقة مشتركة جوهرية بين الديانتين، وهي إلتقاؤهما في الإيمان بحقائق أبدية، بأن لهذا العالم خالق واحد لا يموت، ولم يكن وجود هذا العالم صدفة وعبثا، وكذلك الإيمان بالغيب.

"ونشاطات النورسي في مجال الحوار الإسلامي المسيحي تتصف بنوعين من الحوار..

١-حوار داخلي يستهدف التفاهم حول المواقف المشتركة لتشديد الإيمان في صفوف الناس بصرف النظر عن معتقداتهم الدينية.

ففي هذا الصدد قام النورسي عام(١٩٥٣م) بزيارة للبطريرك "أثينا غوراس" في مقره الواقع في " استانبول " لإيجاد سبل تعاون بين مسلمي تركيا ومسيحيها لمواجهة الموجه الإلحادية المعادية التي بدأت تغزو تركيا "[3]

٢- حوار خارجي لإقامة علاقات ودية متينة مع المسيحيين في أوربا، وبهذا الخصوص

---

(١) بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي، ص١٨١.

(٢) سورة آل عمران: آية رقم (٦٤)

(٣) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ٢٢٩. وانظر، سيرة ذاتية، ص ٩٣.

بادر النورسي بإرسال مجموعة من أعماله إلى البابا " بيوس الثاني عشر" في الفاتيكان ٠

فأرسل مجمع الفاتيكان احترامه وتقديره للمسلمين والإسلام "[١]

ويعتبر النورسي أن الجذور لكل نزاع ديني هو " الغرور والأنانية في النفس وتوهم المرء نفسه محقاً ومخالفيه على باطل، فيقع الاختلاف والمنافسة، بدل الاتفاق والمحبة "[٢]

ويؤسس النورسي قاعدة يمكن بناء الحوار عليها، حيث يوصى " باتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول:" إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل " من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، لكن لا يجوز له أن يقول:" الحق هو مسلكي فحسب، أو أن الحسن والجمال في مسلكي وحده " الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها "[٣]

فالنورسي يرى أنه لا لوم على الإنسان إذ افتخر بقيمه الروحانية التي يؤمن بها وتقوده في هذه الدنيا وهي غير قابلة للنقاش، ولكن الأمر يختلف إذا تعدى على الآخرين بسبب معتقداتهم بدلاً من الإنصات والاستماع إليهم وإكمال معلوماته الدينية واحترامهم ٠

وفي نهاية المطاف تبقى عليه حرية الاختيار، إذا أن الحوار بين الأديان ليس وسيلة للتبشير أو إجبار الغير على اعتناق دين معين.

ويؤكد النورسي أن حرية الحوار بين الفئات الدينية يمنح ويضمن حرية الدين للمجتمع بأسره فيقول: " حرية غير المسلمين جزء من حريتنا "[٤]

وقرر النورسي أن الحوار لابد وأن يكون نابعاً من علم ومعرفة تامة بما سيدور الحوار عليه وتتم مناقشته، لكي نحصل بعد ذلك على التفاهم والاتحاد، حيث أنه لا يمكن أن " يحصل الاتحاد بالجهل، بل الاتحاد هو امتزاج للأفكار، وهذا الامتزاج لا يتم إلا بالنور

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٣٨، ٤٣٩.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٢٢٨.

(٣) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٢٢٩، وانظر، المكتوبات، ص٣٤٢.

(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٦.

الوضيء للمعرفة "[١]

وبهذا يتبين أن النورسي كان ضمن سلسلة المفكرين الذي أسسوا مشروعاً متكاملاً لحوار الحضارات، وهو يحتاج إلى نشرة والعمل به ٠

ويحتاج من الذين فهموا مضامين الرسالة الإنسانية الإسلامية وأدركوا أبعاد المتغيرات العالمية الجديدة أن يكونوا سفراء كالنورسي عن دينهم الوسطي المعتدل، لطرح القضايا العالقة والشائكة على طاولة حرية الحوار، التي لا تقبل أي استبداد أو إكراه أو إلزام، ولتكن وسيلتنا الإقناع كما وضح النورسي بأن " الغلبة على المدنيين إنما هي بالإقناع وليس بالإكراه، كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً "[٢]

وبالحوار الحر والإقناع نستطيع إزالة الكثير من العوائق والموانع التي تعوق تلاقي الحضارات والثقافات وأفرادها مع الحضارة والثقافة الإسلامية، تلك " الموانع التي حرمت الأجانب (كما يقول النورسي) من نعمة الإسلام "[٣]

لهذا فأننا نرى أن مسئولية المثقف المسلم اليوم تستوجب الشجاعة الفكرية، وإيجاد الخطاب الحر المقنع لتقديم الإسلام على حقيقته، لا على الصور التي تأتي بها أحداث العنف والإرهاب وتلتقطها وسائل الإعلام لإشعال نيران الكراهية والتهويل بالخطر الإسلامي على الحضارة وعلى الإنسانية ٠

كما أن حرية الحوار تتطلب إشاعة وتوضيح أن الإسلام لم ولن يؤمن بالطائفية والمذهبية الضيقة والعنصرية..، بل يؤمن بالإنسان كوحدة واحدة، وأنه كائن حواري، يحيا بالحوار وداخل الحوار.

والدليل على أهمية الحوار أن القران كله ذو طبيعة حوارية، والحوار الحر هو الذي اتبعه الأنبياء في الدعوة والتبليغ والتعليم والإرشاد.....

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٢١.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥٢٧- ٥٣٥، وانظر، سيرة ذاتية، ص٩٨.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٢٣، وانظر، سيرة ذاتية، ص٥٠٦.

كما أن حرية الحوار هي أبسط صورة لتبادل الأفكار ونبذ الاستبداد وإزالة الأحقاد، وهي بذلك المرحلة التمهيدية البسيطة لكل عمل مشترك.

ومن خلال حرية الحوار يتحقق قول الله تعالى { فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ }[1]

(١) سورة فصلت: آية رقم (٣٤)

obeikandl.com

المبحث الثالث

الحرية.. والتحرر.

ويتضمن على ما يلي:-.

- موقف النورسي من التحرر.
- صور التحرر:
- التحرر الجهل.
- التحرر من التقليد.
- التحرر من الأنانية والعجب والغرور.
- التحرر من التعصب.
- التحرر من العنف.

obeikandl.com

"الحرية" و "التحرر"

" يقال في اللغة: تحرر العبد، أي صار حراً ٠

وتحرر الشعب: أي تخلص من الاستعمار وحكم الأجنبي.

ويقال: تحررت الأرض "[١]

ويصرح النورسي بأن " تفسير الحرية والعمل بها على أنها التحرر من القيود والانغماس في السفاهات والملذات غير المشروعة والبذخ والإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء إتباعاً لهوى النفس.. مماثل لمن يتحر من أسر سلطان واحد ويدخل في استبداد حقراء سافلين كثيرين فضلاً عن أن هذا النمط من الحرية يظهر أن الأمة غير راشدة ومازالت في عهد الصباوة وليس أهلاً للحرية، فهي سفيهة إذن وتستحق الحجر عليها بالرجوع إلى الاستبداد السابق البائد.

إن عدم الأهلية للحرية الشرعية الحديثة الباهرة الواسعة يؤدي إلى مرض وبيل يتعرض له اتحاد الأمة العظيم، فتتعرض الأمة إلى حالات فاسدة متعفنة ٠

بينما تفسير أهل التقوى والوجدان ليس على هذا النمط، ومذهبهم يخالف هذا التفسير فنحن الأمة العثمانية تتصف بالرجولة، فلا تليق بقامة استعداد أمتنا البطلة فساتين النساء المزركشة بالسفاهة والهوى والإسراف "[٢]

إذاً فالنورسي يبين أن الحرية تختلف عن التحرر، إذ أن الحرية التي يجب أن يسير على ضربها الإنسان هي الحرية " المتأدبة بالآداب الشرعية والمتزينة بالفضائل "[٣] والأخلاق الطيبة والخير والشرف ٠

أما إذا خرجت الحرية عن هذا الإطار إلى غيره، بأن يتوهم الإنسان بأنه مهما فعل في كنف الحرية من سفاهات ورذائل وفضائح، لا يؤاخذ عليها مادام لم يضربها أحد، فهذه

---

(١) المعجم الوجيز: معجم اللغة العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ص١٤٣، ١٩٩٥م

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٦٧، ٤٦٨.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٣.

تعني التحرر والفوضى والإباحية والأنانية والسفاهة والرذائل، وهي ما يسميها النورسي بأنها " حيوانية وبهيمية وتسلط شيطاني ووقوع في أسر النفس الأمارة بالسوء " [١].

ويعبر النورسي عنها أحياناً " بالحرية الخارجة عن دوائر الشرع " [٢]

ويشبه النورسي الفرق بين الحرية والتحرر وعدم التلاقي بينهما بثياب المرأة إذا ما لبسه رجل، فيقول: " فالثياب اللائق بإمرة إذا ما لبسها الرجل يكون موضع هزء وسخرية "[٣]

ولكن رغم رفض النورسي للتحرر، فإننا نلحظ أنه لا يرفض التحرر الايجابي البناء الذي يعود بالإنسان إلى الشرع، مع اعترافنا بأنه يرفض التحرر السلبي على إطلاقه.

ولقد جاءت الخطوات الست في كليات رسائل النور لتكشف عن سعي النورسي لتحرير الإنسان من الشوائب والنقائص التي تتنافى مع إنسانيته وتعوق حريته وحرية الآخرين.

" وأول دعامة في منهج النورسي هي:- تحرير العقل والفكر، وإن شئت فقل: تحرير الإنسان من أصفاد الجهل وظلمته .

وثاني دعامة هي: تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي وسيطرة التبعية العمياء.

الدعامة الثالثة: تحرير الإنسان من طاعة الأهواء والانقياد الأعمى لمغرياتها، لأن طاعة الأهواء من أقوى عوامل انحراف الإنسان في سلوكه والتوائه في نظرته وتفكيره، وهؤلاء الذين يطيعون الأهواء لا يستقيم لهم رأي ولا تعتدل لديهم موازين.

والمتأمل في الخطوات الست التي جاءت في صيقل الإسلام يجد أنها تؤهل الإنسان للعطاء وتنمي فيه القدرة على الإبداع بما تفتح له من أفاق التفكير " [٤]

ومن أبرز صور التحرر التي يدعوا إليها النورسي ما يلي:

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٩٣.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٥٣.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٣٦.

(٤) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: قضايا معاصرة، سوزلر، ص٢٦، ٢٠٠٥م.

- التحرر من الجهل.
- التحرر من التقليد.
- التحرر من الأنانية والعجب والغرور.
- التحرر من التعصب.
- التحرر من العنف.

وهذا ما سنتحدث عنه بشيء من التفصيل في الصفحات التالية.

obeikandl.com

التحرر من الجهل

لقد " ناضل النورسي بكل قوة في سبيل الله تعالى لإنقاذ الناس من غيابة الجهل ولجة الإلحاد "[١] ونادى على أبناء وطنه قائلاً: " يا أبناء وطني وإخواني..، كفاكم نوماً..، تيقظوا فلقد آذن الصباح وإلا ستنهبكم الغفلة وأنتم تغطون في نوم عميق في صحراء الجهل القاحلة "[٢]

وذلك لأن " الجهل والتعصب المتفشيان فينا قد ساعدا أوروبا لتحمل ظناً خاطئاً من أن الشريعة تعين الاستبداد" [٣]

ويبين النورسي أن جهلنا الذي تفشى فينا أدى " إلى جهل الأجانب بالإسلام "[٤]

" ثم إن أعداءنا ليسو الأجانب.. وإنما الذي أردانا إلى هذا الوضع وحال بيننا وبين إعلاء كلمة الله هو مخالفتنا للشريعة الغراء نتيجة " جهلنا " بها " [٥]

" ألا تباً وسحقاً وبعداً للجهل "[٦]

إذا فالنورسي يعلن أن أعداءنا ليسوا الأجانب فقط، وإنما بجهلنا لتعاليم الإسلام جعلناهم دون أن نشعر، جهلاء أيضاً بالإسلام، فأصبحنا سوياً دون أن نشعر، أعداء لجهلنا بسماحة تعاليم الإسلام.

ويتحدث النورسي عن العدو الحقيقي لنا فيقول: " إن عدونا هو الجهل والضرورة والاختلاف، وسنجاهد هؤلاء الأعداء الثلاثة بسلاح الصناعة والمعرفة والإتقان "[٧]

---

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٦١١.
(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٦٣.
(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٣٣.
(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٣٥.
(٥) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٣٥.
(٦) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٧٥.
(٧) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٣٣.

و" الحرية الشرعية تهتف بكم: اهجموا على الجهل والفقر بالعلم والصنعة "[١]

ويبين النورسي أن " الآيات القرآنية التي تخاطب العقل البشري تسأل: لم تتركون العلم وتختارون الجهل ؟ "[٢] مع أن " الإسلام يعادي الجهل "[٣].

ويرى النورسي أن " أعجب عجائب الجهل وأتعسه "[٤] هو الجهل الذي وقع فيه " قسماً من أهل الضلالة الذين يطلق عليهم الماديون الذين توهموا أزلية المادة والقوة، فسبحان الله...

فمن كان له مسكة من عقل لا بد أن يحكم بأن هذا جهل ما بعده جهل وخرافة •

إن هؤلاء التعساء قد وقعوا في عبادة آلهة كثيرة لأنهم أعرضوا عن الوحدانية المطلقة... فتأمل مبلغ الحضيض الذي سقطوا فيه، وسحيق الدرك الأسفل من الجهل الذي تردوا فيه "[٥]

" وما هذا إلا فتح لباب الجهل المطلق المنافي للإنسان المكرم المخلوق في أحسن تقويم "[٦].

إذاً فالنورسي يوضح أنه لابد من التحرر من الجهل، لأنه غير لائق بإنسان كرمة الله بالعقل وأحسن تقويمه أن يكون جاهلاً..

وهذا ما دفع النورسي الإنسان لكي يخاطب الإنسان المكرم أن يتحرر من هذا الجهل لما له من مساوئ.....

ويذكر النورسي طرفاً من هذه المساوئ، فيقول مبيناً بأن:" الجهل مجلبة للوساوس، بينما

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٦٣.
(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٩٥.
(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٣٥.
(٤) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٥٥٠.
(٥) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٥٧٦، ٥٧٧.
(٦) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٣٥٩.

العلم على نقيضه دافع لشرها "[١]

وكذلك من المساوئ " التعصب الناشئ عن الجهل "[٢]

ويضيف النورسي أن أعظم المساوئ التي نعاني منها هو: أن " هذا الجهل كان مانعاً وعائقاً أمام تعلم الكثير من العلوم " [٣] " فعُذبنا بجهنم الجهل "[٤].

ويبين النورسي كذلك " أن السلطة المستندة إلى القوة والإكراه هي الحاكمة في سالف الأزمان، وهي محكومة بالتدني والانقراض، حيث أنها حصيلة " الجهل " والوحشية " [٥].

ويرى النورسي: أن التحرر من الجهل يغلق أبواب الخرافات، لأنه إذا تسلم الجهل المجاز حوله إلى حقيقة فيقول: " إذا وقع المجاز من يد العالم إلى يد الجهل ينقلب إلى حقيقة ويفتح أبواباً إلى الخرافات، إذ المجازات والتشبيهات إذا ما اقتطفتها يسار الجهل المظلم من يمين العلم المنور.. انقلبتا إلى " حقيقة " مستفرغة من الطراوة والنداوة، فتصير سراباً خادعاً بعدما كانت شراباً زلالاً، وتصبح عجوزاً شمطاء بعد ما كانت فاتنة حسناء..

ومما أطلعني على هذه الحقيقة ودلني عليها، هو حدوث خسوف القمر.

فقلت: فلم يشاهد القمر؟ قالت: إن ثعابين السماء شبه شفافة.

فانظر كيف تحول التشبيه إلى حقيقة فحجبت حقيقة الحال " [٦]

لذا يدعوا النورسي " للتحرر من ظلام الفكر، لأنه يولد الظلم والجهل "[٧]

وكعادة النورسي الذي لم يفصح عن داء إلا وقدم له دواء.

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٣٠٣.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٣٠، وانظر: سيرة ذاتية، ص ٥٠٥،

(٣) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٥٩٧.

(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٣.

(٥) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٦٩.

(٦) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٠، وانظر الكلمات، ص٨٦٠.

(٧) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٨٤٨.

فنراه يقدم العلاج النافع لتحرر الإنسان من الجهل، وهذا العلاج هو القرآن الكريم " حقاً، إن تمزيق ستار العاديات – التي هي مصدر الجهل المركب – ببيانات نافذة، واستخراج خوارق العادات المستترة تحت ذلك الستار وإظهارها بجلاء، وتحطيم طاغوت الطبيعة – التي هي منبع الضلالة – بسيوف البراهين الألماسية، وتشتيت حجب الغفلة الكثيفة بصيحات مدوية كالرعد وحل طلسم الكون المغلق والمعمى العجيب للعالم، الذي أعجز الفلسفة البشرية والحكمة الإنسانية ما هو إلا من صنع هذا القرآن المعجز البيان "[١]

ومما يؤكد هذا " أن أول دليل وأكبره هو: أن الشباب الذي قرأ رسالة "عصا موسى" التي استنسخت بالأحرف الجديدة، بدأوا بتعلم القراءة بأحرف القرآن لكي يستطيعوا قراءة الرسائل الأخرى، وهكذا هدموا سداً كبيراً، وهو الجهل بخط القرآن الكريم "[٢]

كما قدم النورسي علاجاً آخر لكي يتحرر الإنسان من الجهل، فدعا إلى "إنشاء جامعات دينية لتزيل الجهل الذي هو داء الأمة الوبيل"[٣]

ومن خلال ما سبق يتضح أن النورسي يريد تحرير الإنسان من الجهل الذي يعوق معرفته بربه وخالقه، ويعوق عقله من الحرية الفكرية، ويعوقه من الوصول إلى الحقيقة، ويفتح أمامه باب الخرافات...، ثم يبين العلاج النافع وهو القرآن الكريم الذي حطم سد الجهل، وإنشاء دور التعليم الدينية ومدارسة " رسائل النور التي تزيل طلسم الجهل "[٤]

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٤٤٦.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٥٩٧.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام: ص٤٥١، وأنظر: سيرة ذاتية، ص٨٠.

(٤) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٢٠٤.

التحرر من التقليد

" التقليد لغة: هو جعل القلادة في العنق.

وتقليد الولاة: هو جعل الولاية قلائد في أعناقهم "[١]

والقرآن الكريم عندما أرسى قواعد البحث وأصول التفكير، فأنه عمل على تحرير العقل من رواسب التقليد وعادات البيئة السيئة، وعاب على المقلدين بلا وعي أو إدراك، الذين يقولون { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ}[٢]

وبين القرآن أن التقليد يسوق الإنسان دون استيعاب إلى الظن والهوى والاسترسال مع الباطل {وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}[٣]

ويقوم التقليد على تعطيل حواس الإنسان، وحتى إن تم استخدامها فأن المقلد يستخدم حواسه التي أمده المولى بها للمعرفة والاستكشاف استخداما سيئاً {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}[٤]

ولعل بعض ما بيناه يبين فساد التقليد، لأنه يجعل الإنسان أسيراً، ومكبل بأغلال من يقلده وكما قال عبيد الله بن المعتمر رحمه الله " لا فرق بين بهيمة تقاد وإنسان يقلد "[٥]

لهذا يدعوا النورسي إلى التحرر من التقليد لكي لا يكون الإنسان مكبلاً بأغلال التقليد للآخرين.

ولكي لا يعوق التقليد النظر الإنساني أن يرى الحقائق الإيمانية التي تمهد له سعادة الدنيا والآخرة وتوصله بخالقه، وفي المقابل لا تربطه بالماضي الخرافي.

---

(١) أبو محمد بن سعيد البيلاوي: التقليد المشروع منه والممنوع، ص٩، دار الفرقان، باكوس.

(٢) سورة الزخرف: آية رقم ٢٣.

(٣) سورة النجم: آية رقم ٢٨.

(٤) سورة الإسراء: آية رقم ٣٦.

(٥) أبو محمد بن سعيد البيلاوي: التقليد المشروع منه والممنوع: ص١٦، دار الفرقان، معهد إعداد الدعاة بباكوس.

obeikandl.com

ويرى النورسي أن التقليد يمثل سداً منيعاً أمام الحرية الشخصية وحرية الفكر وحرية الرأي... بل ومناقضاً لجميع صور الحرية، ومناقض لإنسانية الإنسان ولمهمته في الاستخلاف والانطلاق والتعمير، ويكرس الجمود .

وهذا التقليد منافي لأسس الإسلام ومبادئه التي أرساها لانطلاق حرية الإنسان في العقيدة، والفكر، والرأي....، وغيرها من الحريات.

ويصرح النورسي أن القرآن يمقت التقليد ويحض ويشجع على التفكر والتدبر والملاحظة فيقول: " إن القرآن الكريم يستشهد العقل ويحثه على التدبر والملاحظة بقوله تعالى:-

(أفلا يتفكرون.. أفلا يتدبرون.. أفلا يعقلون)...

فيمنح لأهل العلم وأرباب الفكر والعقل بهذا مقاماً رفيعاً باسم الدين، ويوليهم أهمية خاصة فلا يعزل العقل، ولا يحجر على عقول أهل الفكر ويكمم أفواههم، ولا يطلب التقليد الأعمى كما هو في المذهب الكاثوليكي " [١]

وذلك لأن الإسلام ليس "كسائر الأديان المبنية على التقليد والتعصب" [٢]

ويرى النورسي أنه لا يجب أن " يقاس الدين الإسلامي بالنصرانية، إذ أن تقليد الأوربيين في

إهمالهم دينهم تقليداً أعمى خطأ جسيم"[٣] ومن ثم فلا يجب تقليدهم .

ويبين النورسي " أن الأقوام المتيقظة في آسيا قد تمسكوا بالقومية وحذوا حذو أوروبا في كل النواحي حتى ضحوا بكثير من مقدساتهم في سبيل ذلك التقليد .

والحال أن كل قوم يلائمه لباس على قده وقامته، وحتى لو كان نوع القماش واحداً فأنه يلزم الاختلاف في الطراز، إذ لا يمكن إلباس المرأة ملابس الشرطي، ولا يمكن إلباس

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٦٢.

(٢) بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز في فطان الإيجاز، ص١٠٥.

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٤١٧.

العالم الديني ملابس الخليعات..

فالتقليد الأعمى يؤدي في كثير من الأحيان إلى حالة من الهزء والسخرية "[١]

إذاً فالنورسي يدعو للتحرر من التقليد وخاصة تقليد الأوروبيين لأن طبائع العرب والمسلمين ومباديء الإسلام لا تتوافق وما يجلبه المقلدون من أوروبا، وخاصة دعوى المقلدين لتقليد نساء الغرب بالتبرج، ولبس الزي الأوروبي والقبعة...الخ

لهذا يخاطب النورسي من أُصيبوا " ببلاء التقليد "[٢] قائلاً لهم: " يا من يحث المسلمين ويشوقهم على حطام الدنيا، ويسوقهم قسراً إلى صنائع الأجانب والتمسك بأذيال رقيهم •

ويا مدعي الحمية، أيها الشقي.. تمهل، وتأمل وأحذر من انقطاع عري الدين لبعض أفراد هذه الأمة وانفصام روابطهم معه، لأنه إذا انقطعت تلك الروابط لدى البعض تحت سطوة مطارق التقليد الأعمى والسلوك الأرعن فسيكونون ملحدين مضرين بالمجتمع مفسدين للحياة الاجتماعية كالسم القاتل " [٣]

"فيا أسفي.. ويا ويل من ضل بطواغيت الأجانب وعلومهم المادية الطبيعية، ويا خسارة أولئك الذين يقلدونهم تقليداً أعمى ويتبعونهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع..

فيا أبناء هذا الوطن لا تحاولوا تقليد الإفرنج " [٤].

" لأن التقليد يشق طريقه ويؤدي إلى القول " مالي وما على فليفكر غيري " [٥] " وليس له إلا التقليد الذي يرميه في أحضان الاضطراب والارتباك "[٦] فتسلب بذلك حريته، ويظل مكبلاً وأسيراً بتقليد غيره، ويحوطه الخوف والاضطراب وتصبح " الأفكار مقيدة

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٤١٧.
(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٢١٦.
(٣) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١٨٦.
(٤) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١٨٤.
(٥) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٣٦.
(٦) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٨٨.

بالتقليد "[١].

ويبين النورسي " إن هذا العصر العجيب الذي أثقل كاهل الإنسان بالحياة الدنيوية بما كثر عليه من متطلبات الحياة وضيق عليه مواردها وحول حاجاته غير الضرورية إلى ضرورية بما ابتلاه من تقليد الناس بعضهم بعضاً "[٢]

" فقد أصبح الإنسان العصري من حيث حب التقليد والإدمان مفتقراً إلى عشرين حاجة بدلاً من أربع منها ضرورية " [٣] فقط.

ويبين النورسي كذلك أن التقليد يسلب من الإنسان حرية الاختيار، وذلك رداً لمن قال له: " نحن الآن مضطرون " أي أننا مضطرون في تقليد بعض الأصول الأوروبية وموجبات المدنية حسب القاعدة المعروفة " إن الضرورات تبيح المحظورات ".

قلت لهم: إنكم منخدعون تماماً لأن الضرورة النابعة من سوء الاختيار لا تبيح المحظورات" [٤]

ويتواصل سعي النورسي "محذراً من التعصب المقيت والتقليد المشين" [٥] وخاصة للذين يحاولون مسخ الشعائر الإسلامية بتقليدهم للغرب ٠

ويكشف النورسي عن ذلك ويبين " أن مستند الذين يحاولون تغيير الشعائر الإسلامية وتبديلها وحجتهم نابعة من تقليد الأجانب تقليداً أعمى كما هو في كل الأمور الفاسدة"[٦]

ويؤكد النورسي: أن من أسباب تأخر المسلمين وتدنيهم وسوء أحوالهم ناتج من تقليد مساوئ المدينة الأوروبية تقليداً ببغائيا- بسوء حظنا أو سوء اختيارنا- مما ولد تركنا

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤١.
(٢) بديع الزمان النورسي: ملاحق، ص١٤٥.
(٣) بديع الزمان النورسي: ملاحق، ص٣٧٨.
(٤) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٧٠.
(٥) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٧٨.
(٦) بديع الزمان النورسي: مكتوبات، ص٥٥٨.

لمحاسن المدنية التي تستحصل بمشكلات ومصاعب "[١]

ويُرجع النورسي الموانع التي سيطرت على الأجانب وحالت بينهم وبين تفهمهم للشريعة الإسلامية وتفهم تعاليمها السمحة المعتدلة إلى " التقليد والجهل وتعصبهم وسيطرة القسس عليهم"[٢] ومن خلال ما سبق يتضح أن النورسي يرفض التقليد الأعمى الذي يسوق الإنسان إلى التحرر والسفاهة، وخاصة تقليد مساوئ الغرب شبراً بشبر.

وان كان في المقابل لا يرفض اقتباس ما يتوافق مع شريعة الإسلام بمعيار " خذ ما صفا ودع ما كدر ".

ونلحظ أن النورسي يدعوا للتحرر من التقليد لما فيه من تذويب للشخصية المسلمة، وهذا ما يرفضه النورسي، لأن الحرية في مجمل صورها تتجلى وتبرز عندما يكون للفرد دوره في قيادة الفكر الإنساني.

كما أن الحرية تستدعي وتستلزم الانطلاق من أسر التقليد، وذلك لاستقلالية الشخصية وتفعيل دور العقل وتحقيق مبدأ حرية الذات وحرية الاختيار.

والنورسي يرفض التقليد لأنه " يحجم الطاقات، وهو الأمر الذي أضر بالإسلام والمسلمين ولم يسعفهم بالتطور، لأنهم انغلقوا تحت طائلة التسليم والتقليد..." [٣]

فالتقليد يعني " قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل" [٤]

"ويعني السكونية والسير القهقرى والالتفاف إلى الخلف....

إن التقليد هو الإقرار بالعقم، وانزلاق العقل في وحل الكسل والاستدانة " [٥]

ويجعل من الإنسان دمية متحركة في يد من يقلده فيسلب منه حريته واختياره، وهذا ما

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٧١.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٢٣.

(٣) أ. د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص١٢٢.

(٤) بديع الزمان النورسي: مكتوبات، ص٤٨٦.

(٥) أ.د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص١٢٣.

أكد عليه النورسي بقوله:-

" فمنذ انحطاط الخلافة ونحن لا نتحرك ذاتياً، بل بالوساطة، فأوروبا تنفخ ونحن نرقص هنا"[١]

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣١٦.

obeikandl.com

التحرر من الأنانية والعجب والغرور

" إن القوى والميول المودعة في الإنسان لم تحدد، خلافاً للحيوان، لذا فأن الميل للظلم وحب الذات يتماديان كثيراً بشكل مخيف " (١)

" نعم إن حب الإنسان لنفسه وتحري مصلحته وحده، وحبه لذاته وحده من الأشكال الخبيثة لـ " أنا " و" الأنانية " وإذا ما أقترن العناد والغرور بذلك الميل، تولدت فظائع بشعة بحيث لم يعثر له البشر على أسم بعد " (٢)

" والأنانية إما تؤدي إلى السلبية والانعزالية، وإما تؤدي إلى الظلم والاستبداد، وكل هذا ينشأ نتيجة البعد عن الله "(٣)

" لهذا فإن القرآن في مجمله يهدف إلى اقتلاع جذور ذلك المرض حتى يحرر الإنسان من هوى النفس ومن كل ما يقف عقبة في سبيل الوصول إلى الله" (٤)

أو يعوق حرية الإنسان مع مجتمعه، " لأن الحرية ترتكز على أنها إحدى صور الحق الذي ينوب فيه المسلم عن جميع المسلمين ويمثلهم في تصرفاتهم العامة (كما في دعوى الحسبة) (٥) وتلك الحرية لا تتحقق مع تواجد مرض الأنانية والعجب والغرور، إلا إذا تبرأ وبريء من يريد الحرية الحقة من هذه الأمراض.

" ولذلك فأن الآية الكريمة { إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }(٦) تبين استعداد الإنسان إلى الظلم الرهيب المغروز في فطرته ٠

---

(١) بديع الزمان: صيقل الإسلام، ص٣٤٥.وانظر/ خديجة النبراوي: مشكلات نفسية للإنسان، ص١٩، بحث مستقي من كليات رسائل النور، سوزلر، القاهرة٢٠٠٢

(٢) خديجة النبراوي: مشكلات نفسية للإنسان، ص٨٩.

(٣) خديجة النبراوي: مشكلات نفسية للإنسان، ص١٠١.

(٤) خديجة النبراوي: المرجع السابق، ص٩٧.بتصرف.

(٥) د/ منيب محمد ربيع: ضمانات الحرية في النظام الإسلامي وتطبيقاتها، ص٢٤، سلسة البحوث الإسلامية ١٩٨٣م

(٦) سورة الأحزاب: آية رقم(٧٣).

فالذي تمكن فيه الحرص والأنانية يصبح إنساناً يريد القضاء على كل شيء يقف دون تحقيق أهوائه، حتى تدمير العالم والجنس البشري إن استطاع.

ولا شك أن الأنانية من الأمراض الخطيرة التي يمكن أن تصيب النفس البشرية بسهولة (وذلك حين تبتعد عن منهج الله) وهي تتعارض كلية مع الشريعة الإسلامية التي تهدف في مجموعها إلى تفاعل الإنسان مع المجتمع تفاعلاً تاماً حتى يصير ذلك المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً." (١)

ولكن. كيف تتعاظم الأنانية والعجب والغرور في نفس الإنسان ؟.

ويجيب النورسي على هذا التساؤل فيقول:- " إن الغفلة عن المالك الحقيقي " جل جلاله" سبب لفرعونية النفس، فتتوهم نفسها مالكة لها، فيتشكل في وهمها دائرة لحاكميتها، ثم تقيس الناس، بل الأسباب على نفسها، فتقسم مال الله عليها، فتعارض الأحكام الإلهية، وتبارز مع مقدرات خالقها...

مع أن الحكمة في إعطاء أنانية لها: أن تصير واحداً قياسياً لفهم صفات الإلوهية، فأساءت بسوء الاختيار، فصرفتها في غير ما وضعت له .

فالنفس ليست مالكة لنفسها ولا جسمها الذي هو ماكينة دقيقة عجيبة إلهية " (٢)

ويخاطب الإمام النورسي نفسه قائلاً: اعلم يا " أنا" أن ما التفت على رأسك من سلاسل الإيجاد العلمية، واتصلت بأنانيتك من سطور الصنائع الشعورية، وما أخذت بأيدي حوائج ذاتك، ومن وسائل المدد والإجابة، تدل على أن موجدك وصانعك ومغيثك يسمع أنينات فاقاتك فيتحنن لها، ونداء حاجاتك وآمالك فيتعهدها بفضله سبحانه.

فيا أيتها الحجيرة الكبرى المعبرة بـ " أنا " المركبة من تلك الحجيرات فقولي يا إلهي يا ربي... لك الملك ولك الحمد أنا مسافر في وديعتك وأمانتك ومملوكك الذي هو هذا

---

(١) خديجة النبراوي: مشكلات نفسية للإنسان، ص٩٠،٨٩.

(٢)بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي، صو١٢٨ وانظر/ خديجة النبراوي: مشكلات نفسية للإنسان ص٩٠.

الجسد بمشتملاته ".[١]

وأعلمي يا نفس أن ما أنعم الله عليك من وجودك وتوابعه، ما هو إلا إباحة لا تمليك، فلك أن تتصرف فيما أعطاك، كما يرضى من أعطى، لا كما ترضى أنت "[٢]

وعليك أن ترددي دائماً {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ }.[٣] أي أن المال له وأنا في أمره، وإليه أذهب، ما على لو لم أقصر في حفظه.. فهذا بلا شك أدعى إلى توجيه " أنا " في مسارها الصحيح.

ويقول النورسي – رحمه الله –: إن هذه ثلاثون سنة لي، مجادلة مع طاغوتين وهما: " أنا " في الإنسان، و" الطبيعة " في العالم.

أما " أنا " فرأيته مرآة ظلياً حرفياً، لكن نظر الإنسان إليه نظراً اسمياً قصدياً بالأصالة فتفرعن عليه وتنمرد.

أما " الطبيعة " فرأيتها صنعة إلهية وصبغة رحمانية، لكن نظر البشر إليها بنظر الغفلة جعل الطبيعة تتأله عند ماديهم، فأنشأت كفران النعم المنجر إلى الكفر "[٤]

ويرى الإمام النورسي أن " الإنسان في الحقيقة غيب في هيكل شهودي..، فواحد من غيوب الإنسان هو " أنا " المودع في عمق أعماقه، ففيه مفتاح العالم وفيه العقل الذي يعقل به الوجود والحس الذي يقتحم به عالم الممكنات.

ويبين النورسي في الكلمة الثلاثون من رسالة " أنا "[٥]:- أن الإنسان إذا أدار مفتاح "

---

(١) بديع الزمان النورسي: المثنوي، ص١٣٠ وانظر/ خديجة النبراوي: مشكلات نفسية للإنسان، ص٩١،٩٠.

(٢) بديع الزمان النورسي المثنوي، ص٢٠٨. وانظر/ خديجة النبراوي: مشكلات نفسية للإنسان، ص٩١ بتصرف.

(٣) سورة البقرة: آية رقم (١٥٦).

(٤) خديجة النبراوي: مشكلات نفسية للإنسان، ص٩٠، ٩١، وانظر. بديع الزمان النورسي: المثنوي، ص٢٢١.

(٥) بديع الزمان النورسي: الكلمات، الكلمة الثلاثون، رسالة أنا، ص٦٣٥.

أنا " في أقفال السماوات والأرض، انفتحت له وكشفت عن أسرارها وأشارت إلى موجدها وعينت له موقعه من العالم وحجمه الذري إزاء كبرياء الله وعظمته وجبروته.

ولكن " أنا " كثيراً ما ينسى حجمه، ويغفل عن موقعه، فيتيه عجباً ويختال افتخاراً على السموات والأرض والجبال بتحمله سر أمانة التكليف وبمنحه الإرادة والقدرة على الاختيار والترجيح.

" فالنورسي " يحذر الإنسان من السقوط في مهاوي " أنا "(الذميمة) ويحثه على الارتقاء إلى مرتبة " الإنسان الصعب " الذي يستعصى على الابتلاع والسقوط بين شدقيه عندما يملأه الغرور ويتوهم أن ما يملكه من صفات إنما هي صفات ذاتية الوجود فيه وليست اعتبارية ومنحه ربانية، فينقلب بتنكره وجحودة إلى طاغوت مخيف يستعبد صاحبه ويستعبد الآخرين من حوله فيتضخم ويستغلظ ويتورم ويصرخ بلسان فرعون: { أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى}[1]

وبلسان النمرود: {أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}[2].

ولهذا السبب، كثيراً ما يتحرج الأتقياء الصالحون والأولياء المقربون من الإشارة إلى أنفسهم بكلمة " أنا " تورعاً من أن يتحرك في أنفسهم – بتكرار هذه الكلمة – عرق " أناهم " في العجب والكبر الماحق لكل حسنات التقوى والصلاح. "[3]

" ويستنكر الإمام النورسي بشدة تعاظم أنانية الإنسان وعجبه وغروره بنفسه لأنه يوقن يقيناً لا حدود له بقول الله تعالى {وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا}[4]

ومن وحي هذه الآية الكريمة يخاطب النورسي نفسه، ويخاطب كل إنسان يبحث عن الحقيقة فيقول: يا " أنا " المتمرد المغرور المتكبر: انظر إلى درجة ضعفك وعجزك وفقرك ومسكنتك... إذ يبارزك ويصارعك " الحوين " الذي لا يرى إلا بتكبيره مرات ودرجات

---

(١) سورة النازعات: آية رقم (٤٤).

(٢) سورة البقرة آية رقم(٢٥٨).

(٣) أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص١١، ١٢.

(٤) سورة النساء: آية رقم(٢٨).

فتخر صعقاً " [١]

ويبين النورسي أخطار الأنانية والغرور، وأنها من أشد الأخطار التي يمكن أن تواجه المجتمع الإسلامي، لأنها تؤدي إلى تفكك المجتمع، وسيادة قوى الضلال فيه، وكذلك تعوق من حرية الآخرين .

ويقول الإمام النورسي في ذلك:" إن الموالين للضلالة يرومون سحب إخواني عني، مستفيدين من الأنانية والغرور الكامن في الإنسان..

وفي الحقيقة إن أخطر وأضعف عرق ينبض في الإنسان، إنما هو عرق الغرور، إذ يمكنهم بالتربيت على ذلك العرق وتلطيفه أن يدفعوه إلى كثير من المفاسد .

إن أهل الضلالة في هذا العصر قد امتطوا " أنا " فهو يجوب بهم في وديان الضلالة، فأهل الحق لا يستطيعون خدمة الحق إلا بترك " أنا "..

وحتى لو كانوا على حق وصواب في استعمالهم " أنا " فعليهم تركه لئلا يشبهوا أولائك، إذ يكونون موضع ظنهم أنهم مثلهم يعبدون النفس..

لذا فإن عدم ترك " أنا بخس للحق تجاه خدمة الحق..

زد على ذلك أن الخدمة القرآنية التي اجتمعنا عليها ترفض " أنا " وتطلب " نحن "..

فلا تقولوا: " أنا ".. بل قولوا: " نحن ".

فيا إخواني: إن أخطر جهة من الأنانية في عملنا هذا، هو الحسد والغيرة." [٢]

---

(١)بديع الزمان النورسي: المثنوي، ص١٧٨ وانظر/ خديجة النبراوي: مشكلات نفسية للإنسان، ص٩٤.

(٢)بديع الزمان النورسي:المكتوبات، ص٥٤٩- ٥٥١ وانظر/ خديجة النبراوي: مشكلات نفسية للإنسان، ص٩٦.

التحرر من التعصب

التعصب لغة: " عَصَبَ " – عصباً: أي طواه ولواه وعصب رأسه بالعصَابة ٠

وعصب الشجرة: أي ضم ما تفرق من أغصانها بحبل ثم خبطها ليسقط ورقها.

و" أعتصب " و " تعصب" شد العِصابة ٠

وتعصب القوم عليهم: أي تجمعوا، وفلان ذا عصبية

ويقال: تعصب فلان له، وتعصب معه: نصره.

والتعصب والعصاب: إضطراب نفسي أو عقلي.

و" العَصَبُ ": شبه خيوط بيضٍ يسري فيها الحس والحركة من المخ والبدن.

و " عَصَبةُ الرجل ":بنوه وقرابته لأبيه، أو قومه الذين يتعصبون له وينصرونه.

و " العصبي " يقال: رجل عصبي: سريع الأنفعال ٠

و " العصبية ": التحمس للرأي والمدافعة عنه "[1]

موقف النورسي من التعصب.

إن الإسلام يمقت التعصب والتشدد لأنه أسرٌ للإنسان، وعائق لحرية الفكر والرأي والحوار كما أنه يقضي على كل جديد قبل أن يولد.

والتعصب مصدره الجهل، ولا يولد إلا " العنصرية والأنانية "[2] والعنف والعناد والمغالاة والهوس والسفسطة.

ويبين النورسي ميزة الإسلام الحق التي تميزه عن سائر الأديان بأنه دين العقل والحكمة والعلم، وليس دين التعصب ٠

---

(١) معجم اللغة العربية- المعجم الوجيز –ص ٤٢٠، طبعة وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٢.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٤٦.

فيقول أثناء شرحه لقوله تعالى " ولكن لا يعلمون ".. " لا يعلمون " وأمثالها من فواصل الآيات من " لا يعقلون " و " لا يتفكرون " و " لا يتذكرون " وغيرها، تشير إلى أن الديانة الإسلامية مؤسسة على العقل والحكمة والعلم، فمن شأنها أن يقبلها كل عقل سليم لا كسائر الأديان المبنية على التقليد والتعصب " [١]

لهذا نجد رسائل النور تسجل في " صيقل الإسلام " أن النورسي سار على المنهج الإسلامي الذي يرفض التعصب " فسلك مسلك الاعتدال، مسترشداً بالنهج الإسلامي السالم من التعصب الذميم الذي يعيق كل تجدد، ويتنافي مع مفهوم الحرية والشورى في ضوء الإسلام ٠

لهذا سعى النورسي محذراً من التعصب المقيت "[٢] ورافعاً لشعار حرية الرأي والعقيدة بقوله " ليتكلم ضميرك الحر المطلق من قيد التعصب " [٣]

ونلحظ من قول النورسي بأن الإسلام مؤسس على العقل والحكمة والعلم ٠

وقوله النهج الإسلامي السالم من التعصب الذميم.. أنه في القول الأول يريد بيان أن التعصب منبعه ومصدره الجهل، وهذا ما عناه وذكره بقوله " التعصب الناشئ عن الجهل "[٤] وقوله " الجهل المطبق الذي تربع على عرشه التعصب الذميم " [٥] ونتج عن هذا تأخر الأمة معرفياً، وبزوال هذا التعصب الناشئ عن الجهل " سيعتلي الإسلام عرش الحقائق والمعارف "[٦].

ويؤكد النورسي أن سبب تأخر المسلمين وتدنيهم هو التعصب، فيقول:

" إن سبب تأخرنا وتدنينا وسوء أحوالنا ناتج من أشياء منها: -

---

(١) بديع الزمان النورسي: إشارات الاعجاز في مظان الإيجاز، ص١٠٥

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٧٧، ٣٧٨.

(٣) بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز، ص٢٤٤.

(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٣٠.

(٥) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٢٣.

(٦) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٢٢، ٢٣.

التعصب المقيت في غير محله، سواء لدى عالم جاهل أو جاهل عالم "[١]

ونلحظ في قول النورسي أنه يريد أن يؤكد بأن التعصب عائق ومقيد للحرية العلمية والفكرية والاقتصادية، بل وعائق لجميع صور الحرية.

أما قوله (الثاني) بأن النهج الإسلامي السالم من التعصب المقيت، فأنه يريد أن يلمح إلى بعض المنتسبين إلى النهج الإسلامي من المذاهب والمسالك، ولكنهم يشوهون صورة هذا المنهج بتعصبهم المذموم الذي يرفضه الشرع، ولهذا يقول:-

" إن من سيئات استبداد الأحاسيس: تأسس المسالك والمذاهب غالباً على التعصب... وتضليل الآخرين أو على السفسطة..، بينما هذه الثلاثة مذمومة في نظر الشرع، ومنافية للأخوة الإسلامية، ومفرقة للانتساب الجنسي (الإنساني)"[٢]

ولعل ما تعانيه الأمة حالياً، ناتج من التعصب المذهبي، سواء بين الطوائف أو منتسبي المذاهب بعضها مع بعض، مما كان سبباً في إعاقة حرية الرأي والفكر، ونشب من جراء ذلك تطرف فكري وتشدد وتعصب مذهبي، وانطلقت الألسنة بلهجة تكفيرية لا تتناسب ولا تتفق مع سماحة الدين الإسلامي، ولا تتوافق مع حرية الإنسان مع بني جنسه.

ويسجل التاريخ الإسلامي كثيراً من صور التعصب الفكري خاصة بين الفرق الكلامية، ثم استقر هذا التعصب أخيراً بين السنة والشيعة، نتج عنه اتهامات تكفيرية وإراقة دماء، بينما العالم مشغول بالتحديث والتجديد والابتكار والاختراع والتقدم...،

لهذا يؤكد النورسي أنه لا بد من " إنقاذ الإسلام من الأساطير والإسرائيليات والتعصب الممقوت، تلك التي أصدأت سيف الإسلام المهند "[٣]

أما الاستمرار في التعصب المقيد لجميع الحريات، فأنه يؤدي إلى الضلال، إذ أن " العناد يلزم أحياناً المغالين في التعصب بالضلال والباطل، حتى إذا ساعد الشيطان أحدهم قال:

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٧١.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥١.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٣٠.

إنه ملك ويترحم عليه.

بينما إذا رأى ملكاً في صف من يخالفه في الرأي، قال إنه شيطان قد بدل ملابسه فيبدأ بمعاداته ويلعنه "[١]

ويقرر النورسي" أن القرآن الكريم قد سل سيفه الألماسي البارق وفتح القلوب والعقول واستولت فضائل الإسلام على العناد فمزقت أنوار القرآن حجب التعصب الذميم "[٢]

وبعد أن يرفض النورسي جميع صور التعصب، فأنه يقدم العلاج الذي يحرر الإنسان من هذا الخلق الذميم، الذي لا يتوافق مع الحرية أو الشورى الشرعية، ولا يتوافق مع إنسانية الإنسان، ولا يتوافق مع سماحة الإسلام.

وأبرز هذه العلاجات هو إفساح المجال للحرية المعرفية، وذلك بامتزاج العلوم الحديثة مع العلوم الدينية للقضاء على التعصب، فيقول:" إن ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلوا بكلا الجناحين وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في الثانية "[٣]

التحرر من العنف

إن ما تعانيه البشرية، وخاصة في زماننا هذا من تنامي ظاهرة مرضية غريبة تتسارع وتيرتها إلى مستويات خطيرة، أضحت تهدد أمن الأبرياء في مشارق الأرض ومغاربها وهي ظاهرة العنف والإرهاب، وما يقترن بها من أعمال همجية ووحشية فظيعة، وما يحصل بسببها في كثير من بلدان العالم من ترويع وتشريد وتخريب واختطاف واغتيالات وتفجيرات وإراقة دماء وهدم مباني وتلف أموال بلا حسيب أو رقيب داخلي، ولا وازع

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٦٣.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٤١.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٢٨.

إيماني، فمتى حصلت هذه الآفات سلبت حرية الأبرياء، وأزالت راحة البال منهم وحرمتهم من حياة حرة كريمة.

والعنف لا يصدر في الغالب إلا من شخصية فكرية متعصبة وغير متزنة، ومن نفس مشوشة ومنفعلة.

ويؤكد النورسي أن منبع العنف: هو " التعصبَ العنصري والأنانية "[١]

وبما أن النورسي ينظر إلى الحرية من خلال دائرة الشرع، فإننا نجد أن الشرع الحنيف حث على ضرورة الحرية الإنسانية وتحقيق الأمن، ونهى عن كل ما يعيق حرية الحركة والتنقل وحرية الصناعة والاقتصاد والعمل، أو يسيء إلى الحرث والنسل من أعمال التخريب والفساد، فقال تعالى { وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[٢].

وقد قص الله تعالى في القرآن الكريم ما عاقب به الأمم السابقة لما طغت واستبدت واستعبدت الضعفاء من عباد الله، وانتهجت مبدأ العنف والجحود، فقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}[٣].

وليس هذا فحسب، بل يؤكد القرآن على تحقيق الأمن وحفظ وصيانة الأنفس وحمايتها من التلف وحماية حرياتهم من أي عنف، ولهذا فإن الله تعالى نهى نهياً شديداً عن قتل النفس البرئية بغير الحق، فقال تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا }[٤] فهذه النصوص وغيرها تقرر رفض الشارع الحكيم للعنف، وتفيد بمنطوقها ومفهومها التشديد والمبالغة في النهي عن قتل النفس المسلمة، وما قيل عن المسلمين يقال أيضاً عن غيرهم .

---

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٣٤٦.

(٢) سورة البقرة: آية رقم (٦٠)

(٣) سورة الفجر: آية رقم (٦-١٤)

(٤) سورة المائدة: آية رقم (٣٢)

فقد دعا الشرع الحنيف إلى تأمين حريات غير المسلمين ما لم يكونوا من المحاربين لأهل الإسلام أو من المعاونين على إخراجهم من ديارهم .

كما حث على احترامهم والإحسان إليهم والبر بهم والعدل في معاملاتهم وعدم التعرض لهم بالأذى، يقول الله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، أن النبي ﷺ قال: " من قتل معاهداً لم يرى رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً "[2]

وفي ضوء التوجيهات الشرعية السابقة سعى النورسي إلى إعلان قراره برفضه للعنف وتأييده للحرية الشرعية، وسعى إلى بيان أن ربانية التشريع الإسلامي السمح، وواقعيته قضت أن " تضع أعظم دستور للعدالة المحضة التي تقرر: أنه لا يهدر دم برئ، ولا تزهق روحه حتى لو كان في ذلك حياة للبشرية جمعاء "[3]

وهذه الخصيصة في نظر النورسي تمثل جوهر الخلاف بين سياسة التحرر للمدنية الحاضرة، وبين الحرية الشرعية المنضبطة وعدالة الإسلام.

وفي ظل هذه القناعات الإيمانية الراسخة، والمبررات المنطقية السليمة الرافضة للعنف عمل النورسي على شحذ همم الأتباع للإسهام في تحقيق الأمن والأمان، وذلك من خلال رسائل النور التي تسعى لتمكين الدين وإظهار سماحته، وبطلان إدعاء الغرب بأن الإسلام دين العنف، وانه انتشر بالسيف، وأنه عائق للحرية

هذا بالإضافة إلى سعي النورسي إلى خدمة الوطن وإسعاده، وبناء المواطن الصالح في نفسه والساعي إلى إصلاح غيره .

---

(١) سورة الممتحنة: آية رقم (٨/ ٩)

(٢) حديث شريف: أخرجه البخاري في صحيحه، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم (٢٩٩٥) وأخرجه: الترمذي في سننه، باب ما جاء فيما يقتل نفساً (١٤٠٣).

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٣٧.

وهذا القناعات هي التي وجهت اهتمام النورسي وجعلته ينذر حياته لنشر الأمن. وقد ذكر النورسي في أكثر من مناسبة، أن قناعاته الشخصية قد أملت عليه " بذل كل حياته في سبيل إسعاد هذه الأمة، ونشر الأمن والسعادة في ربوع البلاد " [١] ويشهد لهذا الاختيار تصريحاته المتكررة أمام جهات أمنية وطنية، ومنها قوله:

" ليهلكني الله ثلاث مرات إن لم أكن قد خدمت الأمن العام لهذا البلد أكثر من ألف مدير أمن، وأكثر من ألف مدع عام " [٢]

والنورسي يؤكد أن الدخول إلى دائرة العنف في القول أو العمل أمر لا يليق بالأحرار.

وأكد على هذا من خلال رفضه للمشاركة في ثورة الأقاليم التي يتزعمها الشيخ " سعيد بيران " [٣] لما سينتج من جراء ذلك عنف وإراقة دماء.

بل واستطاع النورسي إقناع " حسين باشا " [٤] وهو شيخ عشيرة " حيدران " بعدم الإنضمام لكي لا تراق الدماء وتهدر الحريات..

ويفرق النورسي بين العنف الدائر داخل المجتمع المسلم والعنف المتبادل بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات فيقول: " الفرق بين الجهاد الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر "[٥]

وقبل الحديث عن هذين الصنفين (الداخلي والخارجي) للعنف، فإنه يجب إيضاح شيء هام ألا وهو مفهوم الجهاد عند النورسي..،

إن الذي يؤكد رفضه للعنف ودعوته للتحرر منه هو مفهوم الجهاد، حيث أنه يغاير المفهوم الاصطلاحي المعروف للجهاد بأنه القتال، إلى مفهوم آخر يعبر عنه " بالجهاد

---

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٥٤٤.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٣٩٧.

(٣) د/ سمير رجب: الفكر الأدبي والديني عند النورسي، ص٦١.

(٤) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٥) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٧٠.

المعنوي "[١] تارة، و" الجهاد المادي " [٢] تارة أخرى " وجهاد النفس وهو ما يعبر عنه بالجهاد الأكبر "[٣] وتارة يعبر عنه بـ " الجهاد الفكري " [٤]

ولكن لا ينبغي أن يفهم من هذا أن النورسي يُغفل تاريخاً حافلاً للجهاد بمعناه الاصطلاحي

بل أنه يؤكد على ضرورة " سوق الجيش إلى الجهاد " [٥] عند الضرورة، وأن أفضل شرف يحصل عليه الإنسان هو " أن يرزقك الله الشهادة أو شرف الجهاد " [٦]

ومع ذلك فإنه يحذر من الزمن الذي تنقلب فيه المفاهيم، فيقول:

" سيكون زمان يخفى الضد ضده، وإذا باللفظ ضد المعنى في لغة السياسة، وإذا بالظلم يلبس قلنسوة العدالة، وإذا بالخيانة ترتدي رداء الحمية بثمن زهيد، ويطلق أسم البغي على الجهاد في سبيل الله، ويسمى الأسر الحيواني والاستبداد الشيطاني حرية " [٧]

ويقرر النورسي أن أبرز العوامل التي ينتج عنها العنف في المجتمع المسلم هو الخلاف بين المسلمين، سواء كان هذا الخلاف فكرياً أم مذهبياً أم سياسياً أم غير ذلك..،

ومع أن الخلاف شيء تفرضه طبيعة الفطرة كما قال ربنا: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ..} [٨]. فهذا يستدعي السير المتزن مع الفطرة.

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٢٣٦،٢٣٥، وانظر ص٢٥٢-٤٣١، وانظر الشعاعات، ص٣٦٦-٤٨٩، وانظر الملاحق، ص١٦٩-١٧٠، وانظر سيرة ذاتية، ٤٧٣.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٥٢٨-٥٢٩.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٣١- ٥٣٤، وانظر المثنوي، ص ٣١-٣٢، وانظر سيرة ذاتية، ص٩٨.

(٤) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٣٥٧.

(٥) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٢.

(٦) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٨٩٠.

(٧) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٨٤٩، وانظر المكتوبات ص٦٠٤.

(٨) سورة هود: آية رقم (١١٨-١١٩)

وبناءاً عليه فيجب أن يبقى هذا الخلاف في دائرة حرية الفكر وحرية الحوار، ولا يجوز بأي حال من الأحوال أن يتخذ أي شكل من أشكال العِنف، وخاصة بين المسلمين أنفسهم المأمورين بالتراحم والتعاطف والتكاتف.

وهذا ما أكد عليه النورسي من خلال معارضته للحركة التي أثارت الأكراد على الدولة بقوله: " نحن الأكراد مسلمون، والأتراك إخواننا، فلا تجعلوا الأخ يقاتل أخاه، فهذا لا يجوز شرعاً.

إن السيف لا يشهر إلا بوجه الأعداء الخارجيين .

والنورسي يعلل ذلك بأن الاتفاق لا يتحقق بالتخويف والإكراه بل بالرجوع إلى شريعة الرسول ﷺ والنظر إلى المقاصد السامية التي ندين الله بها جميعاً " (١)

ويرجع النورسي أسباب العنف الدائر بين المسلمين إلى أمور أبرزها: " ضعف الإيمان والجهل والأنانية وعدم معرفة الروابط الإيمانية التي تربط أهل الإيمان بعضهم ببعض " (٢)

ويتحدث النورسي عن العنف المعنوي الدائر بين المسالك والمذاهب والطوائف، ويرى أن

من أولى الشرور التي يؤدى إليها مسلك، هو ظنه امتلاك ناصية الحقيقية، فيسعى مدعيها إلى فرضها بالإكراه، الذي يمثل مظهراً من مظاهر العنف المقيت، يتبعها الانزلاق خلف هوى التكفير.

ويجعل النورسي من نفسه مثالاً في التواضع والتسامح، فيقول:

" نعم، إن الفضيلة المتسمة بالإيمان كما لا تكون وسيلة للإكراه لا تكون سبباً للاستبداد قطعاً إذا الإكراه والقسر والتسلط على الآخرين رذيلة ليس إلا، بل إن أهم مشرب لدى أهل الفضيلة هو الاندماج في المجتمع بالعجز والفقر والتواضع " (٣)

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٣٤١. بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٩٢.

(٣) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٢٥٩.

ويرى النورسي أن " ما يسببه التحايز والتطرف والعناد والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين، وما يوغر صدورهم من حقد وغل وعداء مرفوض أصلاً.. ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى.

فضلاً عن أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة الإنسان: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة " (١)

ويعرض النورسي في رسائله الكثير من وقائع العنف المعنوي (التكفير) والاستبداد الفكري بين المسالك " و " الطرق والمذاهب والطوائف " ويقدم لها العلاج .

ولعل أبرز ما تعرض له بالتفصيل هو الصراع والخلاف التاريخي الكامن بين السنة والشيعة الذي لا يزال يثير الإحن والأحقاد، بل لا يزال إلى يوم الناس هذا يسيل الدماء – ويذكر في آخره أنه " لا خير في الإفراط والتفريط في كل شيء..." (٢)

ثم يخلص النورسي إلى توجيه نداء للطرفين بضرورة رفع هذا النزاع وسد الطريق على من يستغله لضرب أحدهما بالآخر، ويعيق حرية الفكر والحياة بينهم، فيقول:-

" فيا أهل الحق الذين هم أهل السنة والجماعة.

ويا أيها الشيعة الذين اتخذتم محبة أهل البيت مسلكاً لكم، أرفعوا فوراً هذا النزاع فيما بينكم، هذا النزاع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه، وإن لم تزيلوا هذا النزاع، فإن الزندقة الحاكمة الآن حكماً قوياً تستغل أحد كما ضد الآخر، وتستعمله أداة لإفناء الآخر، ومن بعد إفنائه تحطم تلك الأداة أيضاً، فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تثير

النزاع، لأنكم أهل التوحيد، بينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والاتحاد " (٣)

---

(١) بديع الزمان النورسي: مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان، ترجمة إحسان قاسم، ص٢٠٣، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٣٧.

(٣) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٣٨.

ويلاحظ من كلام النورسي أنه ينسب إلى كل فريق أهم ما يميزه عن الآخر، أو ما يجب أن يذكر به، وذلك أدعى لقبول نصحه وإرشاده لهم.

كما أن النورسي يلمح دون أن يصرح أن للنظم الغربية يد في إذكاء وتنمية هذه الظاهرة عند المسلمين بطرق مباشرة، لاستغلالها كوسيلة للضغط على الدول الإسلامية، ومن ثم السيطرة على خيراتها، كما فعلوا في بعض البلاد العربية والآسيوية المسلمة.

لهذا كان خطابه للسنة والشيعة لإزالة كل ما يعوق حرية الفكر والحوار، وترسيخ حرية الأمن والتنقل والنفس، مع المحاولة لتأسيس علاقة تمنع الصدام وتعترض طريق " الإرهاب " لأن الجميع في سفينة واحدة.

ويدعوهم النورسي إلى " الاختلاف الايجابي البناء المثبت، ومعناه: أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته " بحرية " دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم (أي عدم إعاقة حرية الطرف الآخر في عرض أفكاره) بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً.

أما الاختلاف السلبي: فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلاً..، حيث أن المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل إيجابي بناء "[1]

ويهتف النورسي بأعلى صوته " أيها العالم الإسلامي إن حياتك في الاتحاد وإن موتك في الفرقة والاختلاف، لأن الإسلام دين السلام والأمان، يرفض النزاع والخصام في الداخل "[2]

أما في حالة العناد والعداء الناشئ من العنف، فإن النورسي يقدم علاجاً يستطيع الإنسان به أن يحرر نفسه من هذا الداء، فيقول: " إن كنت تريد أن تعادي أحداً فعاد ما في

---

(١) بديع الزمان النورسي: مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان، ص٢٠٩، وانظر، المكتوبات، ص ٣٤٢.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٨٦٣ باختصار.

قلبك من العداوة، واجتهد في إطفاء نارها واستئصال شأفتها .

وحاول أن تعادي من هو أعدى أعدائك وأشدهم ضرراً عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك فقاوم هواها، واسع إلى إصلاحها ولا تعادى المؤمنين لأجلها..

واعلم أن صفة المحبة محبوبة بذاتها، جديرة بالمحبة، كما أن خصلة العداوة تستحق العداء قبل أي شيء آخر "[1]

فالنورسي يتحدث عن عداء النفس الأمارة بالسوء، وهو ما يشير إليه بالجهاد الأكبر أي جهاد النفس.

ويتحدث النورسي بعد ذلك عن العنف بين المسلمين وغيرهم من غير المسلمين، ويقرر أن الإسلام والقرآن بريئان من سياسة العنف، التي يتخذها بعض المتسترين من المسلمين جراء مصلحة شخصية، أو أنانية مقيتة أو جهل وتعصب ذميم .

وهذه الأخطاء التي يرتكبها البعض " هي التي جعلت أوروبا تظن أن الشريعة هي التي تمد الاستبداد بالقوة وتعيينه، حاش وكلا.. إن الجهل والتعصب المتفشين فينا قد ساعد أوربا لتحمل ظناً خاطئاً من أن الشريعة تعين الاستبداد "[2] وتعوق الحرية، بل وتفتقدها.

ويرى النورسي أن علاج الخلاف الديني أو الفكري أو العلمي و السياسي مع غير المسلمين لا يكون بالعنف إلا في حالة الدفاع ضد العدوان الخارجي.

وقد اتخذ النورسي في جهاده ضد أعداء الإسلام منهجاً فريداً متميزاً، ليبرز حقيقة الإسلام وسمو تعاليمه، وإقناعهم بأنه دين المحبة والسلام والأمان والحرية والعدالة والمساواة وليس دين العنف والإرهاب والاستبداد والظلم، فيقول:" أما الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الألماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء، لأن الغلبة على المدنيين إنما

(١) بديع الزمان النورسي: مرشد أهل القرآن، ص٢٠٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٨٣.

هي بالإقناع وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً " (١)

ويقول أيضاً:" إن الإسلام والقرآن الكريم بريئان بلاشك من مثل هذه الحروب المدمرة التي لا تنسجم مع أي قانون كان من قوانين العدالة ولا مع الإنسانية ولا مع أي دستور كان من دساتير الحقيقة وقوانين الحقوق " (٢)

ومن خلال ما سبق يتضح أن النورسي يرفض العنف ويدعوا إلى التحرر من العنف لأنه عائق لحرية الآخرين.

ويتجلى لنا من خلال ما سبق أن النورسي في مصاف المصلحين الذين لم يتخذوا أتباعهم وتلاميذهم للزج بهم لتصفية حساباتهم الشخصية مع غيرهم من المعارضين لأفكارهم وأرائهم وتوجهاتهم، وخاصة الساسة .

حيث لم يثبت أن النورسي زج بطلابه مع كثرتهم وقوتهم لإثارة القلاقل والتخريب ضد الدولة، بل كان دائماً يقوم باستئصال أي حركة ثوريه أو تخريبية، وكان منهجه دائماً الاعتدال والسماحة والإقناع وحرية الحوار.

والنورسي حين آثر تفعيل المنهج الوقائي من أعمال العنف والتخريب واستئصالها نهائياً مع تحديث المفهوم الجهادي طبقاً لمقتضيات المرحلة والعصر .

وذلك بإيجاد قناعات داخلية تحول دون وقوعها، لأن الوقاية خير من العلاج .

ولأنه يعلم أن ما يترتب عن الأعمال الإرهابية من الأضرار المختلفة: سياسياً وأدبياً واجتماعياً ونفسياً، أضخم من أن تعالج بعد حصولها بمجرد أساليب الردع أو التشريعات الزجرية ؟

والأهم من هذا وذاك، هو تلطيخ أسم الإسلام بما ليس فيه، بأنه دين استبدادي وعائق للحريات وهذا ظلم، والإسلام منه برئ.

وتبرز قدرة النورسي على تغيير مسار مفاهيم (الجهاد) وشحنها دائماً ببعد إيجابي، وكأنه

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٣٥.

(٢) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٢٠٣.

يريد أن يعلم الإنسان بصفة عامة وليس الإنسان المسلم فقط أينما كان هذا الإنسان ومتى وجد أن يعلمه كيفية النظر إلى العالم والأشياء والواقع، وكل ما قد يتبادر إلى الذهن نظرة إيجابية تتفق مع إنسانية الإنسان وحريته.

obeikandl.com

المبحث الرابع

ويتضمن على الموضوعات التالية:-

- أثر الإيمان في حرية الإنسان
- الحرية مظهر من مظاهر التكريم للإنسان.
- الصلة بين الماهية والحرية.

obeikandl.com

أثر الإيمان في حرية الإنسان

يقول النورسي:" إن الإيمان يجعل الإنسان إنساناً حقاً، بل يجعله سلطاناً، لذا كانت وظيفته الأساس الإيمان بالله تعالى والدعاء له، بينما الكفر يجعل الإنسان حيواناً مفترساً في غاية العجز." (١)

ثم يبين النورسي " أن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين..، لأن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل، ويربطه بوثاق شديد، ونسبة إليه •

فالإيمان إنما هو انتساب، لذا يكتسب الإنسان قيمة سامية " (٢)

ومن هذا يتضح أن النورسي يوضح قيمة الإيمان بالنسبة للإنسان، لأن الإيمان يرتقي بالإنسان فيجعله حراً، ويجعل الكون مسخراً له.

وبالإيمان يصبح الإنسان (الخليفة) سلطاناً حراً لتعمير هذا الكون •

وبالإيمان تصبح نفس الإنسان وذاته حرة من أسر الهوى والشيطان كما قال ربنا تبارك وتعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ }(٣).

والنورسي عندما سئل: كيف تكون الحرية خاصية الإيمان؟

فكان جوابه:" نعم، إن خادماً صادقاً مخلصاً للسلطان لا يتذلل لتحكم راع وسيطرته، كما لا يتنازل أن يفرض سيطرته على مسكين ضعيف.

فبمقدار قوة الإيمان إذن تتلألأ الحرية وتسطع، فدونكم خير القرون، العصر السعيد،

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٣٥٤.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٣٤٨.

(٣) سورة الإسراء: آية رقم (٦٥)

عصر النبوة والصحابة الكرام "[١].

على أن كمال الإيمان سبب في كمال الإحساس بالحرية، ومقتضى ذلك أن لا يتفرعن، وأن لا يستهزئ بحرية غيره"[٢] " لأن الحرية الشرعية النابعة من الإيمان إنما تأمر بأساسين:-

١- أن لا يذلل المسلم ولا يتذلل.. من كان عبداً لله لا يكون عبداً للعباد.

٢- أن لا يجعل بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله، إذ من لا يعرف الله حق معرفته بتوهم نوعاً من الربوبية لكل شيء، في كل حسب نسبته فيسلطه على نفسه..نعم إنها عطية الرحمن الرحيم، وتجل من تجليات الخالق الرحيم الرحمن، وهي خاصة من خصائص الإيمان "[٣].

والحرية كأثر من آثار الإيمان، فإن معناها السير الحثيث وفق نظام الكون، إذ تتجلى في سير عالم الأفاق التناغم الكبير بين مكونات الكون لسيرها بحرية وفق النظام المحدد.

والحرية الإيمانية تقتضي أن نجد مثيلاً لتلك التصرفات على الأنفس، فيتصرف البشر وفق التناغم مع مكونات الكون، وتلك منتهى الحرية.

وفي هذا المعنى يقول النورسي:" إنه من مقتضى الحكمة أن جريان الشمس وجنودها التي هي سياراتها في فضاء العالم في جريان مشاهد، لأن القدرة الإلهية قد جعلت كل شيء حياً ومتحركاً، ولم تجعل شيئاً محكوماً عليه بالسكون المطلق، ولم تسمح الرحمة الإلهية أن يتقيد أي شيء بالعطالة المطلقة التي هي أخت الموت وابنة عم العدم.

لذا فالشمس أيضاً طليقة بشرط إطاعتها للقانون الإلهي، فلها الحرية في الجريان، ولكن بشرط ألا تتدخل في حرية غيرها "[٤]

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٩٥.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٩٣.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥١٤.

(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٩٢.

وبناءاً على ما لفكرة الحرية كأثر إيماني وبعد إنساني،" سلك النورسي مسلك الاعتدال ومسترشداً بالنهج الإسلامي السالم من التعصب الذميم الذي يعيق كل تجدد والمبرأ عن اللهاث وراء الغرب وتقليده تقليداً أعمى " [١]

ولهذا كان شعار النورسي دائماً " قيدوا الحرية بآداب الشرع " [٢]

وكان يقول أيضاً " ولتدم الحرية النيرة المسترشدة بتربية حقيقة الشريعة " [٣] وذلك لأن التأدب بآداب الشرع شرط لكمال الإيمان، وسلم يرتقي به الإنسان للوصول للحرية الحقة.

" فالإيمان هو صمام الأمن، وهو السياج الذي يحافظ على حرية المجتمع وأمنه وسلامته ويوفر للفرد طمأنينته وسعادته، والناس بدون إيمان يصبحون كوحوش في غابة الحياة فتسيطر عليهم الأنانية، ويحكمهم حب الذات، وتوجههم المطامع.

وغير المؤمن يستخدم حريته حرب على نفسه، يدمرها بما يكنه فيها من حقد وحسد وعداوة وبغضاء، ويتسلط عليها بما يقتضي عليها كتناول الخمر والمخدرات استجابة لشهواته التي لا تنتهي، ونزواته التي لا تقف عند حد، وبأنانيته يريد هدم الكل ليبني على أنقاضهم مجد نفسه فحسب، وليصعد على أشلائهم إلى القمة.

أما المؤمن حقاً...الذي يعمر الإيمان قلبه، فإنه يستخدم حريته لعبادة الله والطاعة، وينأى بنفسه عن مواطن الأنانية، ويسمو بعيداً عن الماديات ويترفع عن الشهوات ويتعالى على لذائذ الدنيا، ويرى الخير والسعادة في النزهة والشرف وتحقيق القيم الصالحة، بحيث لا يجعل من حريته عائقاً لحرية غيره، بل يجعل من حريته عوناً ومدداً لإنقاذ حرية إخوانه..

إن الإيمان الصادق يمد صاحبه بطاقات الحرية التي لا حد لها وصورها المتعددة، ومنها:

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٨٢.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٣٣.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٦٢.

أن الإيمان يمد صاحبه بحرية العقيدة حتى يشعر المسلم بعزة نفسه.

وبأنه لا سلطان لأحد عليه إلا سلطان الله، فيأبى العبودية لغيره.

ويخلع عن نفسه كل عبودية سوى عبوديته له جل وعلاه " [١]

والإيمان يمد صاحبه بحرية الرأي، لأن المسلم يجعل من نفسه حارساً على مبادئ الإسلام وتعاليمه، فإن رأي منكراً أو رأي حرمة تنتهك أو عرضاً ينتقص منه أعلن رأيه بحرية لعدم رضاه .

كما أتاح له حرية الرأي من خلال نصحه للسلطان بما يعود بالنفع على الأمة.

والإيمان يمد صاحبه بالحرية العقلية والعلمية والسياسية وغيرها من الحريات..

إذاً فالحرية الشرعية هي ثمرة الإيمان، وهي تعني التحلي بأسمى ما يليق بالإنسانية من درجات الكمال والتشوق والتطلع إليها..

إنها تقتضي: " الشهامة الإيمانية " المجهزه بالشفقة والرأفة، فلا يرضى المؤمن الذل لنفسه أمام الظالمين، ولا يلحقه بالمظلومين، وبعبارة أخرى: عدم مداهنة المستبدين وعدم التحكم بالمساكين أو التكبر عليهم، وهذا أساس مهم من أسس الحرية الشرعية " [٢]

ومما يدل على أثر الإيمان في حرية الإنسان، هو ما كان يتمتع به أهل الإيمان من حرية في ظل الإيمان بعد أن كانوا أذلاء، وهو ما اعترف به سيدنا عمر بقوله:

" لقد كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام ".

ويستشهد النورسي بذلك فيقول " والبرهان الباهر على هذا الإدعاء هو ما كان يرفل به

---

(١) محمد عبد الفتاح عفيفي: طريق النجاة، ص ٢٥، ٣٩، دار الاعتصام، القاهرة.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥٠٠.

عهد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين من الحرية والعدالة والمساواة "[١]

وبهذا تظهر أهمية الإيمان للحرية وأثره فيها.

" فجنى فوائد الحرية الحقة والاستفادة منها استفادة كاملة، منوط بالاستمداد من الإيمان ذلك لأن من أراد العبودية الخالصة لرب العالمين، لا ينبغي له أن يذل نفسه فيكون عبداً للعبيد، وحيث أن كل إنسان راع في ملكه وعالمه، فهو مكلف بالجهاد الأكبر في عالمه الأصغر، ومأمور بالتخلق بأخلاق النبي ﷺ وإحياء سنته الشريفة "[٢]

ولعل من أهم مميزات الحرية المتولدة من الإيمان أنها قيمة ذاتية فردية شخصية، بحيث يجد المؤمن حرارتها في نفسه، بل ويضطر إلى استصحابها في كل ووقت، نظراً لما يطرأ عليه من رغبات وملذات، وغيرها من الوسائل المساهمة في أسره..

وهذا ما عبر عنه النورسي بأن استصحاب الحرية كقيمة فردية يعد بمثابة قوة دفع داخلي تدفع المؤمن إلى الحضور الدائم في ضيافة مائدة التكاليف الشرعية، ولا يمكنه الحضور دوماً إلا إذا أحس " المؤمن أنه حر في ذاته، فالذي هو عبد لله رب العالمين لا ينبغي له أن يتذلل للناس "[٣]

ويؤكد النورسي على هذه الميزة بأن الإنسان يسعى سعياً دائماً ومستمراً نحو الإبقاء على نفسه حراً، لأنها في صراع مع النفس والشياطين وغيرها، ولن ينجو من هذا الصراع ويتمتع بحريته إلا بالإيمان، فيقول: " كلما رسخ الإيمان قويت الحرية " [٤]

كما يؤكد النورسي أن الحرية التي تفك أسر الإنسان من جميع القيود هي الحرية النابعة من الإيمان " وأن الفكر الملي (أي أن مليتنا وجود مستقبل بذاته، وروحها الإسلام وعقلها القرآن والإيمان) والد الحرية..

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٦٧، وانظر نفس المرجع، ص٤٧١. وانظر. سيرة ذاتية،ص٨٢.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥٣١.

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص ٩٨. وانظر. صيقل الإسلام، ص٥٣٥.

(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٩٨.

وسيأخذ الإسلام بيمينه من الحجة سيفاً صارماً جزاراً مهنداً، وبشماله من الحرية لجام فرس عربي مشرق اللون فالقاً بفأسه وقوسه رؤوس الاستبداد الذي به أندرس بساتيننا" (١)

وعلى هذا فالنورسي يبين أن الحرية خاصية الإيمان وأثر من آثارها، لأن الحرية تثمن بالتربية الإسلامية..

أما الحرية غير المنضبطة بالشريعة فهي خطر على الحرية نفسها، إذ ستلد نقيضها حال تفريطها في الانضباط بالأحكام الشرعية.

ولعل النورسي يعبر عن الحرية التي لم تلد من رحم الإيمان بأنها " ليست إلا السفاهة والرذائل، بل تلك حيوانية وبهيمية وتسلط شيطاني، ووقوع في أسر النفس الأمارة بالسوء" (٢)

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٩٦، ٣٩٧.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٩٣. وانظر: سيرة ذاتية، ص ٩٨، ٩٩.

obeikandl.com

الحرية مظهر من مظاهر التكريم للإنسان

كرم الله الإنسان أيما تكريم، وجعله أكرم مخلوق وأفضل كائن حي، وزوده بطاقات هائلة لبناء حياته، وخلقه في أحسن تقويم، وسخر له جميع ما في السماوات والأرض من أجل عيش كريم وحياة حرة سعيدة، وهذا ما دلت عليه النصوص القرآنية الكثيرة، مثل قوله تعالى { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }(١)

ومن مظاهر تكريم الله للإنسان أن أطلق له حرية الانتفاع بسائر ما خلق الله وجعلهم مسخرين له ليكون بذلك سيد الكائنات بما يتجلى فيه من المقومات البشرية والكمالات الإنسانية، فقال تعالى {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ }(٢).

وقد ردد النورسي رحمه الله هذه المعاني القرآنية كلها في رسائله، عن كون الإنسان مخلوقاً حراً وكاملاً ومكرماً " لأن كل ذي شعور يعلم أن الله سبحانه قد خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم، ورباه أحسن تربية، وزوده من الأجهزة والأعضاء – كالعقل والقلب – ما يتطلع به إلى السعادة الأبدية ويسوقه نحوها "(٣)

أي أن الله كرم هذا الإنسان بأن خلقه في أحسن تقويم ورباه أحسن تربية وزوده بالأجهزة والأعضاء التي ينطلق بها حراً لتعمير هذا الكون، وفعل ما يرضى الله ليكون جدير بقول الله { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }(٤)

" ومعنى الخلافة عن الله في الأرض: أنه مأذون بالتصرف " بحرية " في جميع مناحيها

---

(١) سورة الإسراء: آية رقم (٧٠)

(٢) سورة لقمان: آية رقم (٢٠)

(٣) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ٢٦٨. وانظر: ص ٧٠٢.

(٤) سورة البقرة: آية رقم (٣٠)

"[١] وخلق الإنسان من طين، من مقتضياته الرغائب المتعددة مما يحسه هذا الكائن ويميل إليه وذلك يجعل من حرية الاختيار شيئاً لصيقاً لطبيعة خلقته.

والإنسان لأنه مخلوق مزدوج الطبيعة (مادة وروح) فأن النورسي بين انعكاس هذا التميز الذي مبناه على الطبيعة الازدواجية في خلق هذا الكائن، والتي بطبيعتها تستلزم الحرية فيقول: " الإنسان هو أكثر جامعية من الملائكة، لأنه يحمل نفساً شريرة شهوية – بخلاف الملائكة – وأمامه نجد أن له أن يختار، إما رقياً عظيماً، أو تدنياً مريعاً " [٢]

فالإنسان حر فيما يفعل ويترك، وهذا هو الفرق بينه وبين الحيوان الأعجم، لأن الإنسان هو الذي يستطيع أن يختار ويرجح، لأن الله خلقه حراً.

وهذا ما جعل النورسي يصرح بأن " الإنسان أجمع ثمرة من ثمرات هذا الكون " [٣] لأن الله كرمه بالحرية.

ودعوة الإسلام إلى حرية الإنسان تعني: أن يصل الإنسان إلى مستوى كريم من الأخلاق الطيبة والعمل الصالح، وأن يسير في طريق السيادة على نفسه حتى يوجهها التوجيه الحسن لكي يتحكم في الرغبات والشهوات والأهواء التي لا تليق به ولا تصح منه، فلا حرية لشخص يبقي أسير شهواته الحقيرة وغرائزه الوضيعة، فإن هذا هو الرق بعينه، وهو التبعية الذليلة ولا يمكن بعد ذلك أن يكون " الإنسان حراً " لأنه تنازل عن حريته وصار إلى رق الشهوات والأهواء وأضحى تابعاً لغرائزه وميوله " [٤]

وكيف يتنازل الإنسان عن حريته وهي أسمى مظهر من مظاهر التكرم لهذا " الخليفة ".

" إن الحرية قيمة من القيم الإنسانية، وهي مبدأ أساس يشعر الإنسان بوجوده وبأن له

---

(١) أ.د/ وهبة الزحيلي: أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، المؤتمر العالمي الخامس للنورسي ص ٣١- ٣٨،نسل، استانبول، تركيا،٢٠٠٢. بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٤١٠.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٤١٠.

(٤) محمد سيد أحمد الأقرع: كيف تكون مسلماً، ص١٥٠،١٤٣، المختار الإسلامي، القاهرة، بتصرف.

هدف في هذه الحياة، وقد وهبها الله لسائر المخلوقات، غير أن إحساس الإنسان بها أقوى، نظراً لأنه يملك إرادة العقل التي تنظم هذه القيمة وتضعها في إطارها السليم الذي حدده لها الشرع والتي تصون حقوق الأفراد المستضعفين، وتحمي أعراضهم من الانتهاك، وحقوقهم من الضياع والاغتصاب.

ولذلك حرص النورسي في رسائله على بيان أن الحرية الحقيقية التي نادى بها القرآن الكريم وجعلها مظهراً من مظاهر تكريم الله للإنسان، تختلف اختلافاً جذرياً عن الحرية التي جاء بها الإنسان من خلال القوانين والمنظمات والهيئات المنادية بحقوق الإنسان "[1]

" فالمولى سبحانه وتعالى بين أنه خلق الإنسان ليكرم لا ليهان، ولتسجد له الملائكة لا ليعيش مع الحيوانات، ولكن المتأمل في تاريخ البشر يجد أن جماهير كثيفة طحنها الذل والضياع فعاشت كسيرة أسيرة، وغيرها من الطيور والحشرات ينطلق دون قيد.

من الذي أنزل بالبشر ذلك ؟ لم يفعل ذلك ملك ولا جن، ولم يفعل ذلك ماء أو هواء، إن الذي فعل ذلك بعض البشر، ناس لديهم فضول سلطة أو ثروة، استغلوا سلطانهم وغناهم في تقييد حرية بني جنسهم والحيف عليهم.

وعندما تنظر إلى المواد التي تضمنتها هذه الدساتير الورقية، نعرف بدقة ما هي الحقوق التي يطلبها الإنسان، والتي لا يزال الكثيرون يشكون فقدها..

إن المادة الأولى في الميثاق العالمي لحقوق الإنسان تنص على أن الناس يولدون أحراراً يتساوون في الحقوق والواجبات ٠

وكون الناس يولدون أحراراً متساوين، كلمة نطق بها سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ إرتجالاً لا إعداداً ولا تكلفاً، بل إنطلاقاً من الفطرة الإسلامية." [2] التي أكدت ورسخت أن الله خلق الإنسان حراً مكرماً وأنزلت فيه قراناً واختارت منه رسلاً.

---

(١) د/ زينب عفيفي: أعمال مؤتمر العدالة من خلال رسائل النور، ص٥٩٢، استانبول، تركيا، ٢٠٠٧ م. بتصرف.

(٢) محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، ص ١٥٢ - ١٥٣، دار ثابت، القاهرة، بتصرف واختصار.

إذا فالحرية الكاملة لا يجد الإنسان ريحها إلا في الإسلام، أما الحرية التي سطرها البشر فإنها " حرية تضمن للأقلية القوة والانتفاع والسيطرة، أما سواد الناس فيستمر عليهم الظلم والعدوان، مع أن الظلم لا يستطيع أن يمحو ما خلق الله عليه الإنسان من حرية كما قال النورسي: " لا يمكن بالظلم والجور محو الحرية "

ولا يمكن أن تسود حرية حقيقية إلا إذا كان العدل أساسها والإنصاف رائدها " [١]

والحرية التامة التي يتجلى فيها تكريم الله إلى الإنسان: هي الحرية التي شرعها الله في كتابه الكريم..وصاغها خاتم الأنبياء واقعاً عملياً علي ارض هذا الكون المسخر لخدمة الإنسان.

ويصور لنا النورسي الحرية الإنسانية والتي هي مظهر من مظاهر تكريم الله للإنسان بأنها " الحرية الشرعية التي ترشد البشرية إلى سبل التسابق والمنافسة الحقة نحو المعالي والمقاصد السامية، والتي تمزق أنواع الاستبداد وتشتتها، والتي تهيج المشاعر الرفيعة لدى الإنسان تلك المشاعر المجهزة بأنماط من الأحاسيس كالمنافسة والغبطة والتيقظ التام والميل إلى التجدد والنزوع إلى التحضر.

فهذه القوة الثالثة: " الحرية الشرعية " تعني التحلي بأسمى ما يليق بالإنسانية من درجات الكمال والتشوق والتطلع إليها " [٢]

وبما أن الحرية مظهر من مظاهر التكريم للإنسان، فإن هذا يعني: " أن يكون لشخص حراً لا يملكه أحد من الناس، فلا يسترقه أحد من قومه الذي يعيش بينهم، ولا يستعبده أحد في وطنه الذي نشأ فيه.. لأن الله خلق الإنسان حراً.

وهذا ما عبر عنه النورسي بقوله: " ولا يتحكم بعض في بعض ليتجلى فيه نهي الآية الكريمة { وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ } [٣] ولا يتآمر عليه غير قانون العدالة

---

(١) د/ زينب عفيفي: أعمال مؤتمر العدالة، ص٥٩٢، ٥٩٣، استانبول، تركيا، ٢٠٠٧. بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٠٠.

(٣) سورة آل عمرن: آية رقم (٦٤)

والتأدب، لئلا يفسد حرية إخوانه "[١]

" ولقد سعى الإسلام لتحقيق ذلك، فحين جاء إلى الدنيا ليعلن بوحدانية الله وأن الناس أحرار وجد نظام الرق يصطدم بدعوته للحرية، فشرع بحكمته ما يعالج هذا الاصطدام، بحيث يكفل انتهاء هذا النظام تماماً وتدريجياً ، فأغلق مصادره ووسع من منافذ تسربه، واتخذ جميع وسائل الحيطة لضمان الحرية "[٢] لمن تكبل بقيد الاستعباد.

" وسمع الناس للمرة الأولى في تاريخهم بعد أن صاح فيهم حضرة النبي، أن المسترقين يجب أن تُفك قيودهم وتُعتق رقابهم، وذلك لمن يريد رضوان الله { فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ }[٣]

وعلى المؤمنين أن يتجردوا لأداء هذا الواجب، فلا يحرروا الأسرى ليجعلوهم أتباعاً أو عبيد إحسان بعدما كانوا عبيد سطوة، كلا إنهم " {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا }[٤]

ورفض الإسلام خطف الأحرار، وهدم كل ما أنبني على هذا الخطف من آثار، وجاء في الحديث القدس عن رب العزة، قال الله تعالى:- " ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته – أي غلبته – رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه الأجر.. "[٥]

إذا فحرية الإنسان المكرم لا ترضى بالعبودية إلا لله، فإذا استشعر الإنسان أنه عبد لله وحدة وأن العبودية لا تكون إلا لله، فإنه سوف يكون حراً تكاملت فيه جميع معاني الحرية.

وقد أرست تعاليم الإسلام مبادئ الحرية في نفوس المسلمين حتى جعلت منهم

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٤.

(٢) أ.د/ زينب رضوان: النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي، ص ١٢٠، ١٢١، دار المعارف،١٩٨٢بتصرف.

(٣) سورة البلد: آية رقم (١١، ١٢، ١٣)

(٤) سورة الإنسان: آية رقم (٨، ٩)

(٥) محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، ص ٤٧٨ - ٤٧٩.بتصرف.

الأحرار في كل شأن، مما أذهل العدو وأدهشه، وشرح صدر الصديق وأعجبه ٠

لأن الحرية للإنسان تفتح مغاليق الذهن وترسم طريق الفكر السليم ٠

وهذا ما يبين أن الإسلام له فضل السبق إلى تقرير حق الإنسان في الحرية منذ اليوم الأول من ولادته، بأن لا يملكه أحد ولا يطغي عليه إنسان ٠

فحين اعتدى ابن عمرو بن العاص ﷺ على أحد أبناء المصريين وضربه قائلاً:

" أنا ابن الأكرمين "

وشكاه المصري إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في المدينة، فأخذ الحق منه للمصري، وقال لعمرو بن العاص: " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً " (١)

ويتلاقي قول النورسي وما سجله في رسائل مع مقولة سيدنا عمر، حيث يقول النورسي:

" نحن أحرار منذ القدم، فقد ولدت حريتنا توأماً معنا " (٢)

ويؤكد النورسي: " أن الإنسان المؤمن الموحد المدرك لماهية حياته، ليعي الشأن العظيم والأهمية الكبيرة التي يتمتع بها وسط الخلائق في هذا الكون " وذلك بحريته الكاملة التي كرمه الله بها " (٣)

---

(١) محمد سيد أحمد الأقرع: كيف تكون مسلماً، ص ١٤٣ - ١٤٨ بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٩٠.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ١٣٩ بتصرف.

الصلة بين الماهية والحرية

إن مصطلح الماهية في رسائل النورسي قليل الورود، ومقصده عنها – وخاصة في مقام الحديث عن الإنسان – حقيقية الشيء.

لهذا فماهية الإنسان حقيقته .

وتتجلى تلك الحقيقة في أن منحه الحق سبحانه وتعالى منزلة أكرم، وفضله على كثير مما خلق " رافعاً إياه إلى مرتبة الخلافة "[١] وعرفة بهذه الماهية فسماه خليفة، " يشغل رتبة الخلافة في الأرض ويحمل مهمة الأمانة الكبرى "[٢]

فهي ماهية لجميع أصل بني آدم، عندما أعدهم خالقهم لعمارة الأرض والسير فيها باسمه والعمل بأمره.

ويبين النورسي أن تذكر الإنسان المستمر لماهيته يحرره من أسر الدنيا "[٣]

ولقد حدد النورسي ماهية الإنسان في كونه خليفة وفق ما بينها المولى سبحانه وتعالى في محكم التنزيل " إني جاعل في الأرض خليفة "

ومن ثم، فالصلة بين الإنسان وحريته جلية في إطار الفكرة المركزية والتي تستهدف تحقيق مقاصد إنسانية عليا على اختلاف مراتبها ومكملاتها وفق المصالح التي يفتقر إليها الوجود البشرى.

ويبين النورسي أن الإنسان من حيث صلته بماهيته إما أن يكون مستحضراً لها، وإما أن يكون غافلاً عنها.

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٦٩٨، وانظر. د/ عمار جيدل، ماهية الإنسان وصلتها بحريته، أعمال مؤتمر النظرة القرانية للانسان من خلال رسائل النور، ص٢٠٨، المؤتمر الخامس لبديع الزمان النورسي، ص٢٠٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٨١،

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٦٩٨،وانظر. د/ عمار جيدل، ماهية الإنسان وصلتها بحرية من خلال رسائل النور، ص٢٠٨، ٢٠٩. بتصرف.

هو في الأول (مستحضراً لماهيته) مجسداً لحريته.

وفي الثانية (غافلاً عن ماهيته) يكون مجسداً لأنانيته وحبه للتغلب والأثرة،... فكيف ذلك ؟

يؤكد هذه المعاني في قوله: وما قيمة الدين عند الإنسان وكيف أنه " لولا الدين الحق لتحولت الدنيا إلى سجن رهيب " وهكذا فإن فقد الدين الذي معناه الذهول عن الماهية سيكون سبباً في فقد الحرية، فيصبح مكبلاً بهواه، سجيناً في دنياه وإن كان في بحبوحة من النعيم، لأن من يجعل الحياة الفانية مبتغاه، فسيكون في جهنم حقيقة ومعنى "[1] من خلال وقوعه أسيراً للنفس والهوى والشيطان.

لهذا فالإنسان الحر في فكر النورسي هو الإنسان الكامل المستحضر الدائم لماهيته وبالتالي يسوق جميع اللطائف التي خلق مزوداً بها إلى مقصودة الأساس، وهو عبادة الله تعالى فيسوق القلب كالقائد كل لطيفة منها ويوجهها نحو الحقيقة بطريقة عبودية خاص بها مصداقاً لقول المصطفى ﷺ " ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب "[2]

وعند ذلك تسير الكثرة الكاثرة من اللطائف جنوداً في ركب عظيم، وفي ميدان واسع فسيح بقيادة السلطان " القلب " كما هو لدى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم "[3]

وبهذا يتحرير الإنسان من عدة معوقات:

المعوق الأول: فقد الانسجام مع الكون والحياة.

المعوق الثاني: فقد الانسجام بين الأعضاء.

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٦٩٨، وانظر. د/ عمار جيدل، ماهية الإنسان وصلتها بحرية من خلال رسائل النور، ص٢١٠.

(٢) حديث شريف: أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الإيمان) نقلاً من د/ عمار جيدل: المرجع السابق ص٢١١.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٦٩٨، وانظر ٠ د/ عمار جيدل، المرجع السابق، ص٢١١.

المعوق الثالث: فقد الانسجام بين بني آدم.

وتحقيقاً لهذه المقاصد فإن إنسان القرآن يقصد الحق ويتحراه دوماً وفق ما حمله من فطرة مكرمة "[١]

والإنسان إذا آمن بالله وحده، وأصبح عبداً له وحده، فاز بموقع مرموق فوق جميع المخلوقات وصار حراً ٠

وهذا ما عبر عنه محمد الغزالي بقوله: " إن حرية المرء هي الوجه الأخر لعبودية الله وحده، فالمؤمن حقاً رجل تختفي من حياته رهبة الطواغيت، ويقول ويعمل غير مكترث إلا برضا الله وحده " [٢]

أما إذا استنكف من العبودية وتجاهلها فسوف يكون عبداً ذليلاً أمام المخلوقات العاجزة، وإذا تباهى بقدرته وأنانيته فسيكون أضعف من النملة والنحلة من جهة الخير والإيجاد، بل أضعف من الذبابة، وسيكون أثقل من الجبل وأضر من الطاعون من جهة الشر والتخريب... وتمخض عن ذلك ويلات لا حصر لها، فتهان الإنسانية وتبتذل، بل وقد تصبح في أدرك الدركات "[٣]

وهكذا يتجلى أن الحرية في العبودية لله تعالى، وهي المسلك الوحيد الذي يحرر الإنسان من معوقات فعل الخير الفكري والاجتماعي والتربوي...ألخ ٠

وبالتالي فالحرية تكون في الاستحضار الدائم للماهية، وما فقدت الحرية إلا بسبب التعلق بالدنيا والغفلة عن الماهية الحقيقية للإنسان ٠

ويتجلى كذلك أن النورسي يُريد أن يبرز آثار فكرة الماهية وهي كما يلي:

الأثر المعرفي الأثر التربوي

١/ اكتشاف المنزلة الحقيقة ١/ رفض الإذلال أو الذل

---

(١) أ.د/ عمار جيدل: أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ص٢١١.

(٢) محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، ص ٢٣٣. بتصرف.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٦٩٨، وانظر ٠ د/ عمار جيدل، المرجع السابق، ص٢١١.

٢/ التحرر المعرفي من الأساطير ٢/ نشر التكريم

٣/ تشجيع الروح النقدية ٣/ رفض فكرة التمييز بين البشر

٤/ تدفع إلى التبليغ بعد الاقتناع ٤/ رفض الاستخفاف بالآخر

٥/ تشبع الفضول ٥/ الدفاع عن المستضعفين "[١]

(١) أ.د/ عمار جيدل، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، ص٢١٤. بتصرف.

obeikandl.com

المبحث الخامس

ويشمل ما يلي:-

- الحرية والمسؤولية.
- صلة القدر بالحرية المسئولة للإنسان

obeikandl.com

الحرية والمسؤولية

" إن الإنسان هو الخليفة المسئول بين جميع ما خلق الله تعالى " [١] " لأن المسئولية والجزاء من المبادئ الإنسانية الأساسية التي نشأت مع الإنسان من يوم أن خلقه الله وأنشأه واهبطه إلي الأرض وأستخلفه فيها ليحقق عليها معاني الحق والخير والصلاح " [٢]

" والثابت أن كل المواهب والاستعدادات التي هيأها الله عز وجل للإنسان ما هي إلا أسباب لحمله المسئولية والتكليف والأمانة " [٣]

" وتتنوع مسئولية الإنسان وتتعدد، وأهمها مسئولية الخلافة والأمانة والميثاق والعهد، وهذه كلها مسطرة في كتاب الله.

ومن ذلك نستطيع أن نقول: أن المسئولية التي نستمدها من وحي الله تعالى وسنة رسوله ﷺ أساس كل تكليف نلتزم به ونقوم برعايته ليتحقق لنا الخير في الدنيا والآخرة " [٤]

" والمسئولية نتيجة حتمية وطبيعية للقدرة وللحرية وللاختيار الإنساني، هذا لأن الحرية هي الجانب الإيجابي للفعل، وهي ضرورية لثبوت التكليف .

وعلى هذا فإن قيام المسئولية على أساس الحرية، تقرير على وجود المسئولية الإنسانية " [٥]

" فالحرية تقف بجانبها المسئولية، وبمقدار ما يكون الإنسان حراً يكون مسئولاً على

---

(١) د/ محمد إبراهيم الشافعي: المسئولية والجزاء في القرآن الكريم، ص٨، مطبعة السنة المحمدية،القاهرة، ١٩٨٢م.

(٢) د/ محمد إبراهيم الشافعي: المسئولية والجزاء، ص ٢٢.

(٣) د/ محمد إبراهيم الشافعي: المسئولية والجزاء، ص ٢٢.

(٤) د/ محمد إبراهيم الشافعي: المسئولية والجزاء، ص ٤٢. بتصرف

(٥) د/ حنان منصور: مفهوم الحرية في الفكر الإسلامي السياسي، رسالة دكتوراه بجامعة عين شمس، كلية الاداب، قسم الفلسفة الإسلامية، ص٦٢، ٦٣، ١٩٩٥م.بتصرف.

نفس المستوى وينفس القدر "[١]

وهذا يبين أن الحرية انضباط ومسئولية وليست فوضى.

وإن كنا لا ننكر " أن النفس بطبيعتها ترغب في الانفلات من عقالها حرة طليقة "[٢] بلا مسئوليه.

ولكن هذه النفس يمكن تحديدها وتعريفها: بأنها النفس التي سقطت بصحابها في المادة والشهوة والأنانية، وابتعدت عن الحرية الشرعية المتأدبة بآداب الإسلام.

ولهذا يبين النورسي " أن النفس بسبب تكاسلها في وظيفتها تريد أن لا يكون عليها رقيب فتحب التستر.

فتلاحظ عدم المالك مكرراً، فتعتقد حريتها، فأولاً تتمنى.... ثم تترجى.... ثم تلاحظ ثم تتصور.... ثم تعتقد العدم.... ثم تمرق من الدين....

ولو استشعرت بما تحت الحرية والراحة وعدم المسئولية من الأهوال المدهشة المحرقة واليتم الحزين الأليم، لما مالت أدنى ميل، بل لفرت وتبرأت وثابت أو ماتت "[٣]

ثم يبين النورسي أن الإنسان " قد أودعت في ماهيته أجهزة مهمة من لدن القدرة الإلهية ومنح برامج دقيقة وثمينة من لدن القدر الإلهي، فإذا أخطأ هذا الإنسان التقدير والاختبار وصرف أجهزته المعنوية تحت ثرى الحياة الدنيا وفي عالم الأرض الضيق المحدد إلى هوى النفس، فسوف يتعفن ويتفسخ كتلك البذرة المتعفنة، لأجل لذة جزئية ضمن عمر قصير، وفي مكان محصور، وفي وضع متأزم مؤلم، وستحمل روحه المسكينة تبعات المسئولية المعنوية فيرحل من الدنيا خائباً خاسراً "[٤]

ويحدد النورسي بعضاً من متطلبات الحرية والتي يكون عنها الإنسان مسئولاً فيقول:

---

(١) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: قضايا معاصرة في فكر النورسي، ص ١٢٠، سوزلر،القاهرة.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥١٥.

(٣) بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي، ص ١٦٩.

(٤) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٣٦٢، ٣٦٣.

" إن الحرية العامة: هي المحصلة الناتجة من حريات الأفراد، ومن شأن الحرية عدم الإضرار سواء بالنفس أو بالآخرين.

على أن كمال الحرية، أن لا يتفرعن وأن لا يستهزئ بحرية غيره.

وأن ما لديكم من الحرية هو نصفها، والنصف الأخر هو عدم المساس بحرية الآخرين " (١)

فالمسئولية تلقى بعاتقها على الإنسان الحر لكي لا يتعدى بحريته على حرية الآخرين، وأن لا يلحق بحرية الآخرين ضرراً.

بل إن المسئولية تعمل بطبيعتها العادلة، علي أن تمزج بين حرية الفرد والمجتمع لتحقيق الأخوة والمحبة.

أما الإنسان الذى ينفلت من زمام المسئولية وينطلق بحريته دون مراعاة لحرية الآخرين فأن هذا " لا يعني سوى دسيسة نفسية تحاول التملص من المسئولية " (٢) حيث أن المسئولية عبارة:

" عن شعور المرء الحر بأنه الفاعل الذي تسبب في حدوث شيء ما، أو حدث ما بمحض حريته " (٣)

ومن خلال ما سبق يتضح أن " الحرية تقف بجانبها المسئولية " (٤)

فالإنسان الحر إنسان مسئول مسئولية كاملة لأي فعل ما، وأينما وجدت الحرية وجدت المسئولية.

ولكن إذا كنا قررنا الحرية للإنسان وأنه مسئول فما هي صلة القدر بحرية الإنسان المسئولة ؟

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٣، ٣٩٤ بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٥٤٥.

(٣) حنان سالم منصور: مفهوم الحرية في الفكر الإسلامي السياسي، ص ٦٣، رسالة دكتوراه، جامعه عين شمس.

(٤) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: قضايا معاصرة في فكر النورسي، ص ١٢٠، سوزلر.

obeikandl.com

صلة القدر بالحرية المسئولة للإنسان

تأتي مناقشة مسألة القدر كجزء لاحق بمسألة الحرية الإنسانية، وذلك لارتباطهم الوثيق، فيتم مناقشة مسألة الحرية المسموح بها للإنسان، وما هي حدود تلك الحرية، وذلك لبيان طبيعة حدود العلاقة بين القدر والحرية المسئولة للإنسان عند النورسي..

ولقد اهتم النورسي بقضية الحرية اهتماماً بالغاً (كما سبق وبينا ذكره) وذلك لأن الظروف التاريخية في تركيا خلال هذه الفترة كانت تدعوا إلى التمازج بين الحرية والتحرر، وذلك من منظور سياسي ٠

ويرى النورسي(من منظوره) أن مفهوم الحرية في تلك الفترة كان يعني " التحرر من القيود والانغماس في السفاهات والملذات غير المشروعة والبذخ والإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء إتباعاً لهوى النفس " (١)

ولهذا كان رد النورسي على دعاة الحرية السياسية والاجتماعية العلمانية في تركيا والذين يرون أن الحرية تعني التحرر من كافة القيود والقيم الدينية، بأن الحرية الحقيقية هي العمل وفقاً للشرع ٠

ولاشك أن تفسير الحرية بأنها العمل وفقاً للشرع يجعلنا نبحث عن رؤية النورسي للقدر وصلته بالحرية الإنسانية.

فالنورسي يقرر بأنه: " لا تكليف بلا اختيار " (٢)

وهذا يؤكد أن: " مسئولية الإنسان تبنى وتؤسس على إرادته الحرة، واختياره الهادف لما يقوم به ويفعله، مما يبرز مسئوليته وحسابه على ما يفعله من خير وشر وهذا يؤكد أن للإنسان إرادة حرة، وأن له كسباً واكتساباً " (٣)

إذ أن الاختيار يقتضي الحرية، فلا اختيار حيث لا حرية، والاختيار يجر بالضرورة إلى

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٦٧.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص١٠٣.

(٣) د/ محمد إبراهيم الشافعي: المسئولية والجزاء،ص ٢٩١، طبعة السنة المحمدية، ١٩٨٢م.

المسئولية، لأنه ضروري لإمكان الفعل ٠

وهكذا يتضح لنا سبب كون الإنسان مسئولاً "[١]

ويبين النورسي أن أفعال الإنسان الظاهرية ترجع إلى ما يسميه بالجزء الاختياري، فيقول:

" إن الأفعال الظاهرية في الأغلب نتيجة لأفعال متسلسلة منتهية إلى ميلان النفس الذي يسمى بالجزء الاختياري، فتدور المنازعات على هذا الأساس "[٢].

وعلى الرغم من أن النورسي يقر بأن الإنسان يملك جزءاً اختيارياً، إلا أن هذا الجزء لا يملك الإيجاد والخلق، ولكن دور هذا الجز الاختياري يكون في الأمور الاعتبارية، ولهذا لا يمكن أن نقيس قدرة الله بقدرة العبد، فيقول النورسي:

" إذ تقيسون الإيجاد والإبداع الإلهي بكسب العبد وصنعته، والعبد عاجز عن إماتة ذرة وإحيائها، وليس له إلا الصنعة والكسب في الأمور الاعتبارية "[٣]

ولذلك ٠٠ فالذي " لا يملك إلا جزءاً ضئيلاً من إرادة اختيارية وكسباً فقط، فلا قدرة له على الإيجاد "[٤] " وليس للأسباب تأثير حقيقي في الإيجاد والخلق "[٥]

ويبين النورسي من خلال رسالة " القدر "[٦] تلازم القدر والجزء الاختياري في إطار دائرة الإيمان، فيقول: " إن القدر والجزء الاختياري جزءان من إيمان حالي ووجداني، يبين نهاية حدود الإيمان والإسلام وليسا مباحث علمية ونظرية ٠

أي أن المؤمن يعطي لله كل شيء، ويحيل إليه كل أمر، وما يزال هكذا حتى يحيل فعله

---

(١) د/ سامي نصر لطيف: الحرية المسئولة في الفكر الفلسفي الإسلامي،ص٣٠٦، الحرية الحديثة، ١٩٧٧م. بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز، ص٧٩- ٨٠.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص١٢٩

(٤) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص١٩.

(٥) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٧٢٦.

(٦) بديع الزمان النورسي: رسالة القدر، الكلمات، ص٥٤١.

ونفسه إليه .

ولكي لا ينجو في النهاية من التكليف والمسئولية يبرز أمامه الجزء الاختياري قائلاً له: " أنت مسئول، أنت مكلف "

ثم إنه لكي لا يغتر بما صدر عنه من حسنات وفضائل، يواجهه القدر قائلاً له: " اعرف حدك فلست أنت الفاعل "

أجل: إن القدر والجزء الاختياري هما في أعلى مراتب الإيمان والإسلام قد دخلا ضمن المسائل الإيمانية، لأنهما ينقذان النفس الإنسانية..

فالقدر ينقذها من الغرور، والجزء الاختياري ينجيها من الشعور بعدم المسئولية " [1]

إذاً فمسألة القدر " عند النورسي " ليست للفرار من التكليف والمسئولية، بل هو لإنقاذ الإنسان من الفخر والغرور، ولهذا دخلت ضمن مسائل الإيمان.

أما الجزء الاختياري، فقد دخل ضمن مباحث العقيدة ليكون مرجعاً للسيئات، لا ليكون مصدراً للمحاسن والفضائل التي تسوق إلى الطغيان والتفرعن..

إذاً فالذي أراد السيئات هو النفس الإنسانية، إما بالاستعداد أو بالاختيار" [2]

ويرى النورسي أن الجزء الاختياري إذ ارتبط بالإيمان تعمق وقوي وزادت فاعليته واتسعت حدوده وانتقل من الجزئي إلى الكلي، فيقول:-

" إن الإيمان يمنح ذلك الجزء الضئيل - الجزء الاختياري - الذي يملك كسباً جزئياً للغاية وثيقة يستند بها إلى قدرة مطلقة، وينتسب بها إلى رحمة واسعة ضد تلك الكثرة الكاثرة من الأعداء والظلمات المحيطة .

بل إن الإيمان نفسه يكون وثيقة بيد الجزء الاختياري، وينطلق من الجزئية مكتسباً الكلية فكما أنه يدخل بقوة الإيمان في أعمق أودية الماضي مبدداً ظلمات الأحزان، كذلك

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٥٤١.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٥٤٢.

يصعد محلقاً بنور الإيمان إلى أبعد شواهق المستقبل مزيلاً أهواله ومخاوفه "[١]

ولعل النورسي يريد أن يبين أن الحرية الإنسانية إذا سارت في كنف الإيمان فازت بأستقلال إرادتها، ووعت حقيقة مسئوليتها، وانطلقت إلى أبعد شواهق المستقبل للرقي وتعمير الكون.

وهذا يؤكد بطلان " ما درج الغربيون في الحديث عنه (أي القدر) من نسبة ما قد يوجد في البلاد الإسلامية من أي تأخر وجمود إلى عقيدة القضاء والقدر في نفوس المسلمين "[٢]

ويبين النورسي في موضع آخر أن الإيمان (بالقدر) يقوي حرية الإنسان ويمنحه العزة ويرفع من قدر إنسانيته، فيقول: " إن الذي ينتسب إلى سلطان الكون برابطة الإيمان ويكون عبداً له، تتنزه شفقته الإيمانية عن التجاوز على حرية الآخرين وحقوقهم، مثلما ترتفع شهامته الإيمانية وعزته عن التنازل بالتذلل للآخرين والانقياد لسيطرتهم وإكراههم "[٣]

ثم يبين النورسي: أن الإيمان بالقدر ينقذ الجزء الاختياري من السقوط في الشهوات البهيمية

التي لا تليق بالإنسان المكرم ذلك الخليفة، فيقول:

" الإيمان يأخذ زمام ذلك الجزء الاختياري من الجسم الحيواني ويسلمه إلى القلب والروح لذا يستطيع أن يحل في الماضي وينفذ في المستقبل حيث دائرة القلب والروح واسعة جداً "[٤]

ويفرق النورسي بين رؤية صاحب الإيمان لمسألة القدر والجزء الاختياري، وبين رؤية صاحب الغفلة والضلالة، فيقول: " إن الذي يتحدث عن القدر والجزء الاختياري إذا

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٣٥٣- ٣٥٤.

(٢) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: قضايا معاصرة في فكر النورسي، ص ١١٩. بتصرف.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٩٥.

(٤) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٢٣٢.

كان ذا إيمان كامل ومطمئن القلب، فأنه يفوض أمر الكائنات كلها ونفسه كذلك إلى الله سبحانه وتعالى ويعتقد بأن الأمور تجرى تحت تصرفه سبحانه وتدبيره •

فهذا الشخص يحق له الكلام في القدر والجزء الاختياري، لأنه يعرف أن نفسه وكل شيء منه سبحانه وتعالى، فيتحمل المسئولية (بناءاً على تكاليف الله له) مستنداً إلى الجزء الاختياري الذي يعتبره مرجعاً للسيئات، فيقدس ربه وينزهه، ويظل في دائرة العبودية ويرضخ للتكليف الإلهي ويأخذه على عاتقه، وينظر إلى القدر في الحسنات والفضائل الصادرة عنه لئلا يأخذه الغرور، فيشكر ربه بدل الفخر، ويرى القدر في المصائب التي تنزل به فيصبر •

ولكن إن كان الذي يتحدث في القدر الإلهي والجزء الاختياري من أهل الغفلة فلا يحق له الخوض فيهما، لأن نفسه الأمارة بالسوء – بدافع من الغفلة والضلالة – تحيل الكائنات إلى الأسباب، فتجعل ما لله إليها، وترى نفسها مالكة لنفسها، وترجع أفعالها إلى نفسها، ويسندها إلى الأسباب، بينما تحمل القدر المسئولية والتقصيرات •

وحينئذ يكون الخوض في القدر والجزء الاختياري باطلاً لا أساس له – بهذا المفهوم – ولا يعني سوى دسيسة نفسية تحاول التملص من المسئولية، مما ينافي حكمه القدر وسر الجزء الاختياري "[1]

ونسأل النورسي قائلين: " إن القدر قد كبلنا وسلب حريتنا (وهو ما يعتقده العامة الذين أصطبغ تفكيرهم بالقدرية المأخوذة من فكرة الجبر)[2]

ألا ترى أن الإيمان بالقدر يورث ثقلاً على القلب، ويولد ضيقاً في الروح، وهما المشتاقون إلى الإنبساط والجولان..؟

فيجيب النورسي قائلاً: كلا، حاش لله، فكما أن القدر لا يورث ضيقاً، فأنه يمنح خفة بلا نهاية، وراحة بلا غاية، وسروراً ونوراً يحقق الأمن والأمان والروح والريحان، لأن

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٥٤٤- ٥٤٥.

(٢) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: قضايا معاصرة في فكر النورسي، ص ١١٩.

الإنسان إن لم يؤمن بالقدر يضطر لأن يحمل ثقلاً بقدر الدنيا على كاهل روحه الضعيف ضمن دائرة ضيقة، وحرية جزئية وتحرر مؤقت، لأن الإنسان له علاقات مع الكائنات قاطبة، وله مقاصد ومطالب لا تنتهيان، إلا أن قدرته وإرادته وحريته لا تكفي لإيفاء واحد من مليون من تلك المطالب والمقاصد، ومن هنا يفهم مدى ما يقاسيه الإنسان من ثقل معنوي في عدم الإيمان بالقدر، وكم هو مخيف وموحش.

بينما الإيمان بالقدر يحمل الإنسان على أن يضع جميع تلك الأثقال في سفينة القدر، مما يمنحه راحة تامة، إذ ينفتح أمام الروح والقلب ميدان تجوال واسع، فيسيران في طريق كمالاتهما بحرية تامة، بيد أن هذا الإيمان يسلب من النفس الأمارة بالسوء حريتها الجزئية ويكسر فرعونيتها ويحطم ربوبيتها ويحد من حركتها السائبة.

ألا إن الإيمان بالقدر لذيذ ما بعده لذة، وسعادة ما بعدها سعادة...

فأفهم من هذا سر " من آمن بالقدر أمن من الكدر "[1]

وينتقد النورسي الرؤية الاعتزالية للحرية الإنسانية، حيث أن المعتزلة ينسبون للإنسان القدرة والإيجاد حتى ينزهوا الله عن فعل الشر أو خلقه، فيقول النورسي:

" إن أئمة المعتزلة عندما اعتبروا أن إيجاد الشر شر، لم يردوا إلى الله سبحانه خلق الكفر والضلالة، فكأنهم بهذا ينزهونه سبحانه ويقدسونه فقالوا: " إن البشر هو خالق لأفعاله " فضلوا بذلك.

ويبين النورسي " أن خلق الشر ليس شراً، وإنما كسب الشر شر، لأن الخلق والإيجاد ينظر إليه من حيث النتائج العامة، فوجود شر واحد إن كان مقدمة لنتائج خير كثيرة، فأن إيجاده يصبح خيراً باعتبار نتائجه، أي يدخل في حكم الخير.

فمثلاً: النار لها فوائد ومنافع كثيرة جداً، فلا يحق لأحد أن يقول: أن إيجاد النار شر إذا ما أساء استعمالها باختياره وجعلها شراً ووبالاً على نفسه .

وكذلك خلق الشياطين فيه نتائج كثيرة ذات حكمة للإنسان، كسموه في سلم الكمال

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٥٥١- ٥٥٣ باختصار.

والرقي (بالمجاهدة) [١] فلا يسيغ لمن أستسلم للشيطان- باختياره وكسبه الخاطيء- أن يقول: أن خلق الشيطان شر، إذ قد عمل الشر لنفسه بكسبه الذاتي.

أما الكسب الذي هو مباشرة جزئية للأمر، فإنه يصبح شراً لأنه وسيلة تفضي إلى شر خاص معين، فيكون كسب الشر بذلك شراً، بينما لا يكون الإيجاد شراً بل يكون خيراً، لأنه يرتبط بجميع النتائج المترتبة، فلا يكون إذن خلق الشر شراً " [٢]

ثم يكشف النورسي أنه نتيجة لعدم تمييز المعتزلة بين الكسب والخلق، وعدم معرفتهم أن الكسب هو الذي يتصف بالشر فقد ضلوا، فيقول:-

"وهكذا ولعدم إدراك المعتزلة هذا السر ضلوا، إذ قالوا: إن خلق الشر شر وإيجاد القبح قبح فلم يردوا الشر إلى الله سبحانه وتعالى تقديساً وتنزيهاً له وتأولوا الركن الإيماني: " وبالقدر خيره وشره من الله تعالى" [٣]

ومن خلال ما سبق يتضح أن النورسي يرى: أن " خلق الشرور والأضرار والبلايا والشياطين ليس شراً ولا قبيحاً، لأن هذه الأمور خلقت للحصول على نتائج مهمة وكثيرة جداً فالملائكة مثلا: لا درجات رقي لهم، وذلك لعدم تسلط الشياطين عليهم، لذا يكون مقامهم ثابتاً لا يتبدل ٠

وكذا الحيوانات: فإن مراتبها ثابتة وناقصة حيث لم تسلط عليها الشياطين ٠

بينما في عالم الإنسان تمتد المسافة بين مراتب الرقي ودركات التدني إلى أبعاد مديدة وطويلة جداً، إذ بدءاً من النماردة والفراعنة وإنتهاءاً إلى الصديقين والأولياء والأنبياء عليهم السلام هناك مراتب للرقي والتدني ٠

---

(١) قارن قول النورسي مع إستدلال الإمام محمد عبده على حرية الإنسان ومسئوليته بمبدأ المجاهدة، فقوله تعالى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } (٦٩) سورة العنكبوت:حيث يبين أن هدى الله ميسر لمن يجاهدون في سبيل الاهتداء إلى الحق والخير والصواب. أنظر ٠ أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: قضايا معاصره، ص١٢٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١١٧،١١٨.

(٣) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١١٨.

لذا بخلق الشياطين وبسر التكليف وبإرسال الأنبياء أنفتح ميدان الامتحان والتجربة والجهاد والمسابقة، وبه تتميز الأرواح السافلة التي هي كالفحم في خساسته عن الأرواح العالية التي هي كالألماس في نفاسته ٠

فلولا المجاهدة والمسابقة لبقيت الاستعدادات كامنة في جوهر الإنسانية، أي لتساوي الفحم والألماس، ولتساوت الروح السامية لسيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهي في أعلى عليين مع روح أبي جهل التي هي في أسفل سافلين.

إذاً..، فالشرور والقبائح الناتجة إنما هي حاصلة من سوء الاستعمال ومن الكسب الإنساني الذي هو مباشرة خاصة، وراجعة إلى الكسب الإنساني وليست إلى الخلق الإلهي "[1]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا احترام النورسي لحرية الإنسان وإرادته، وأنه نظر إليها نظرة قرآنية وسطية، فهو لم يلغها، وهو أيضاً لم يبالغ في قدراتها ويطلق لها العنان لتناطح قدرة الله وتتماثل معه.

ولهذا بين من خلال أحد النصوص أن إرادة الإنسان أمام إرادة الله ضعيفة، ومع هذا فإن إرادة الله المطلقة لم تلغي حرية الإنسان واختياره ٠٠ كلا، بل فتحت باب الاختيار للإنسان وفق إرادته لتتحمل المسئولية، فيقول النورسي:

" إن إرادة الإنسان الجزئية وجزأه الاختياري ضعيف وأمر اعتباري، إلا أن الله سبحانه وهو الحكيم المطلق قد جعل تلك الإرادة الجزئية الضعيفة شرطاً عادياً لإرادته الكلية، أي كأنه يقول معنىً: يا عبدي أي طريق تختاره للسلوك فأنا أسوقك إليه، ولهذا فالمسئولية تقع عليك. فمثلاً (ولا مشاحة في الأمثال) إذا أخذت طفلاً عاجزاً ضعيفاً على عاتقك وخيرته قائلاً: إلى أين تريد الذهاب فسأخذك إليه، وطلب الطفل الصعود على جبلٍ عالٍ وأنت أخذته إلى هناك ولكن الطفل تمرض أو سقط ٠

فلا شك أنك ستقول له: أنت الذي طلبت، وتعاتبه وتزيده لطمة تأديب...

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٢.

وهكذا... ولله المثل الأعلى، فهو سبحانه أحكم الحاكمين جعل إرادة عبده الذي هو في منتهى الضعف شرطاً عادياً لإرادته الكلية "[١]

وإذا ألقينا نظرة إلى رأي بعض المعاصرين في مسألة القدر والحرية الإنسانية لوجدنا تقارب الرؤى التي تتلاقى مع النورسي ٠

ولعل هذا ما يؤكده " الإمام محمد عبده ": " بأن مفكري المسلمين من جميع الفرق يعتنقون مذهب حرية الإنسان في الاختيار "[٢]

والمفكر الإسلامي " محمد الغزالي " يقرر: " أن هناك خلط في المفاهيم هو الذي أدى إلى تعلل مردود، فيقول:- " وربما نشأ هذا التعلل المردود من الخلط بين مواطن الاختيار الحق ومواطن الجبر القاهر، فإن الإنسان يحيا بين جبر واختيار في كيانه الداخلي وفي حركاته الخارجية.

إن قلوبنا تدق دون استئذان، وتمضي في أداء وظيفتها دون تدخل من إرادتنا، وقد يكون بعضنا أبيض الجلد والآخر أسوده... أيسال عن هذا التلوين...

وندع هذه النماذج للقدر الظاهر والاختيار الحر٠

ونسوق أمثلة مما تشترك فيه الإرادة الإنسانية مع الإرادة الإلهية:

فإن هذا الاشتراك هو غالباً المهرب الذي يلجأ إليه الجبريون ويسيئون فيه تفسير النصوص. وتصور فلاحاً زرع حشيشاً أو أفيوناً أو أي نبت مخدر، ثم وقف إمام القضاء يدافع عن نفسه يقول: كيف أحاسب على ما زرع الله ؟.

صحيح أني وضعت بذرة تافهة، لكن من الذي نماها وحملها ثمرها ؟ إنه القائل: {أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۞ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ }[٣] ؟

كثير من الناس يعالج قضاياه الدينية بهذا المنطق ؟

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٥٤٨.

(٢) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: قضايا معاصرة في فكر النورسي، ص١٢٠.

(٣) سورة الواقعة آية رقم ٦٣،٦٤.

نحن نعلم أن الإنسان إذا أراد الذهاب إلى المسجد أو إلى الخمارة بقى بقلبه يدق بقدرة الله وبقى جهازه العصبي يصدر أوامره إلى الأقدام بقدرة الله، وبقيت الأرض دون خسف ولا زلزال بأسم الله.

فهل معنى ذلك أن الله هو الذي دفع هذا إلى المسجد دفعاً، ودفع ذلك إلى الخمارة دفعاً ؟

كلا، كلا: إن للإنسان إرادة حرة، بها كلف وبها صح اختياره وبها تم جزاؤه، وكون الله أعانه على ما أراد لنفسه أو أنضج له ما بذر في أرضه أو أمده بالتيار الكهربائي الذي أنار له بيته لا ينفي مسئوليته التامة عما فعل.

وعندما يتجه المرء- بمحض اختياره- إلى الإحسان والإساءة فإن تيار الإرادة المبعوث في أرجاء الوجود طيع بين أصابعه، إن شاء أضاء فمشى في النور، أو أطفأ فخبط في الظلام.

ويؤكد محمد الغزالي: أن آيات القرآن تؤكد هذه الحقائق، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ويصدقه ويكمله.

ثم نراه يوضح موقفه من قضية المشيئة الإلهية بالنسبة للذين يعلنون أنها تسلب الحرية الإنسانية، فيقول:-

إذا قال الله تعالى { كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء }[1] فلنسأل أنفسنا: من الذين يشاء الله إضلالهم ؟

ولنسمع الإجابة من القرآن نفسه { وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء }[2]

{إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}[3] { كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ}[4]

---

(١) سورة المدثر: آية رقم (٣١).

(٢) سورة إبراهيم: آية رقم (٢٧).

(٣) سورة الزمر: آية رقم (٣).

(٤) سورة غافر: آية رقم (٣٤).

إذاً فالأساس أن هذا الذي شاء الله إضلاله، أضل نفسه أولاً فأتم الله له مراده كما قال تعالى {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [١] (وهذا ما عبر عنه النورسي بسوء الاختيار) [٢] وكما يشاء الله إضلال هؤلاء، يهدي إلى الحق من ابتغاه ونشده: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [٣] وقال {وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [٤]

إذاً فالمشيئة الإلهية ليست رمزاً للفوضى... حاشى وكلا..

وعن سؤال وجه إليه:- كيف يكون للإنسان اختيار وإرادة الله نافذة في خلقه جميعاً ؟

فأجاب محمد الغزالي قائلاً:- إن الله فاوت بين خلقه، فهناك فارق بين الجدار والحمار والإنسان:- فالجدار لا يحس، والحمار لا يعقل، والإنسان يحس ويعقل وله ميزة في تكوينه تجعل له معاملة أخرى غير معاملة الجدار والحمار.

فمعاملتي لسائق السيارة غير معاملتي للسيارة نفسها، الفارق واسع بين القائد والمقود، والراكب والمركوب، والمساواة بينهما في التكليف حمق.

وذكر لي آخر قوله تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} [٥]

وقال: أليست هذه الآية نصاً في سبق الهداية الإلهية والإضلال الإلهي ؟

قلت له: أنت واهم، تدبر ختام الآية تجد مفتاح المعنى الذي غاب عنك (يجعل الرجس على الذين لا يؤمنون) إن الرجس الذي خنق صدورهم نشأ عن عدم إيمانهم..

أما الذين رضوا بالحق فقد استحقوا الهداية وشرح الصدر ذلك، والاختيار بين

---

(١) سورة الصف: آية رقم (٥).

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٩٩، انظر سيرة ذاتيه، ص٤٧٠، ٤٧١.

(٣) سورة محمد: آية رقم (١٧).

(٤) سورة التغابن: آية رقم (١١).

(٥) سورة الأنعام: آية رقم (١٢٥).

النهجين يصحب المرء في كل يوم، بل في كل لحظة وهذا هو السر في أننا نطلب من الله الهدى في صلواتنا اليومية نحو عشرين مرة بالليل والنهار...

إن ظروفاً هائلة تحيط بنا لا تعرف إرادتنا ولا قدراتنا ما تصنع بإزائها، وما أشبه الإنسان بزورق هش الصنع، يعوم في بحر لجي يغشاه موج من فوقه سحاب، هنا ليتشبث الإنسان بالتوفيق الإلهي ويسأل ربه النجاة، ومن العقل أن نميز بين الأقدار التي تحيط بنا وتحكم فينا، والأعمال التي طولبنا بها ونسأل غداً عنها.

وأرى أن إنكار الاختيار البشري فرار من وظائف العبودية، واتهام لصفات الربوبية"[1]

ومن خلال ما سبق يتضح توافق مفكري الإسلام أصحاب العقلية المستنيرة، على أن للإنسان إرادة واختيار وحرية وكسب يتعلق بهم جزاء ومسئولية .

والنورسي كمسلم جعل مسائل القدر والاختيار من المسائل الإيمانية المهمة.

وأستثمر هذا في دعوة النفس الخيرة إلى التواضع، والبعد عن الغرور وزيادة الاعتداد بالنفس، الذي إذا زاد قد يخرجها عن طاعة الله، ويدفعها إلى الطغيان والخطأ .

بينما نوازع الشر والرذيلة في أعماق هذه النفس ودوافعها ذاتية وتنطلق النفس إليها مستقلة ما يتاح لها من حرية تستوجب مسئوليتها..

كما استثمر النورسي ذلك في دفع النفس المخطئة إلى التوبة لضمان عدم العودة إلى ارتكاب السيئات، وكان تخريجه هذا منهجاً تربوياً رائعاً، ولهذا يقول:-

" إن الذي يعرف "أنا" على طبيعتها وعلى وجهها الصحيح ويلزمها حدها يدخل الجنة بشارة { قد أفلح من زكاها } ولكن إذا نسى " أنا " حكمة خالقه معتمداً في نفسه انه المالك فقد خان الأمانة، ودخل ضمن النذير الإلهي { وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا }[2]،[3]

---

(١) محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، دار ثابت، ص٦٢،٦٧. بتصرف.

(٢) سورة الشمس: آية رقم (١٠)

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٦٧٣، وأنظر المثنوي العربي، ص٢٢١.

ومن ملامح رؤية النورسي الواضحة والعميقة لمسألة القدر والاختيار، أن الجزء الاختياري ينجي الإنسان من الشعور بعدم المسئولية، لأن الله تعالى لما كلفه خيره، إذ أن التكليف لا يكون إلا بأختيار .

ويؤكد النورسي أن القدر لا ينافى أو يتعارض مع الجزء الاختياري، بل يؤيده ويتوافق معه فيقول: " لا ينافي القدر (الجزء الاختياري) بل يؤيد الجزء الاختياري، لأن القدر نوع من العلم الإلهي، وقد تعلق العلم الإلهي باختيارنا، ولهذا يؤيد الاختيار ولا يبطله " (١)

ونلاحظ كذلك أن النورسي ربط بين الإيمان بالله وبالقدر والجزء الاختياري، وذلك لتعميق الإيمان في النفوس في تركيا، ومواجهة المد العلماني.

ويتضح ذلك أكثر من خلال تحفيزه بأن الإيمان ينتقل بالإنسان من الجزء الاختياري إلى دائرة أوسع، أي من الجزئية إلى الكلية.

كما يبين النورسي أن القدر عامل مهم لتحرير الإنسان من الخوف على الأجل والرزق وغيرها من الأشياء التي تستعبد أصحاب النفوس الضعيفة، حيث " أن الآجال والأرزاق اللذين يبدوان بظاهر الأمر كأنهما مبهمان وغير معنيان، إلا أنهما في الواقع مقدران تحت ستار إبهام في دفتر القضاء والقدر الأزلي، وفي صحيفة المقدرات الحياتية .

فالأجل المحتوم لكل ذي حياة مقدر ومعين لا يتقدم ساعة ولا يتأخر، ورزق كل ذي روح قد عين وخصص ومكتوب، كل ذلك في لوح القضاء والقدر " (٢)

إذا فالإيمان بالله وبالقدر يرقي بحرية الإنسان، ويحرر الإنسان من كل المخاوف

ومن هنا تبدو رؤية النورسي للقدر وصلته بالحرية الإنسانية ذات شقين:-

١ - رؤيته للعلاقة بين الله والإنسان (من زاوية الخلق والإيجاد والقدره): وهي التي يطلق عليها الجزء الاختياري.

٢ - رؤيته للعلاقة بين الإنسان والإنسان: وهي التي يطلق عليها الحرية المطلقة،

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٥٤٥.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٦٨٥.

بشرط أن تكون في إطار الحرية الشرعية المتأدبة بآداب الإسلام، أي أن الإنسان حر في علاقته واختياره وإرادته مع الآخرين، مع ضرورة أن تكون هذه الحرية مقيدة ومحددة وفقاً لأوامر الشريعة الإلهية، حتى لا يطغى على حرية الآخرين.

وخلاصة ما يشير إليه الفصل الثالث (الحرية عند النورسي) بلمحة سريعة:-

- يتلاقى النورسي مع رفاعة الطهطاوي والأفغاني وخير الدين التونسي وغيرهم من الزعماء الإصلاحيين الأحرار الذين يدعون للحرية، ويؤكدون أن الحرية هي إحدى القيم الإنسانية الكبرى، ودعامة هامة من دعائم الشخصية، وهي نقطة الانطلاق للتنظيم الاجتماعي المرغوب فيه، لدواعي الفاعلية والبناء والتقدم والازدهار.

كما أن النورسي تلاقى في كثير من جوانبه لمفهوم الحرية مع المفكرين والزعماء الإصلاحيين، ومن أهم جوانب هذا الالتقاء والتلامس: هو مفهومهم للحرية بأنها الحياة العزيزة الموافقة للشريعة، أي المبنية على أساس ومرتكزات ومبادئ الدين الإسلامي.

ولعل هذا هو جوهر التلامس.

إلا أنهم تباينوا في تصوراتهم لرسم وتطبيق مفهوم الحرية تبايناً قريباً وليس بعيداً.

- يبدو لي أن مفهوم الحرية كان أكثر وضوحاً وظهوراً، واكتملت معالمه وتجلت صورته وأركانه عند النورسي أكثر من غيره من المصلحين.

إذ أننا لا نجد مفهوم الحرية عند الطهطاوي إلا تقريره ومماثلته بأن ما وجد من حرية في فرنسا ليس إلا العدل والإنصاف عندنا.

أما مفهوم الحرية عند خير الدين التونسي: فإنه اقتصر على عرضه لمفهوم الحرية السياسي

أما مفهوم الحرية عند الأفغاني: فإنها لا تستقر على حال، فتارة يعبر عنها بالحرية الشخصية، وتارة السياسية، وأوضح الصور عنده هو ربطه للحرية بالقومية والاستقلال.

أما النورسي: فإنه وضع مفهوم الحرية في إطار متكامل ومفصل وقائم على أسس ومرتكزات أهمها: الحرية المتأدبة بالقيم والأخلاق، وليست الحرية المنفلتة الفوضوية التي

لا تقيم حساباً لغير الذات والأهواء الفردية، والتي ترتقي بقيم الانحراف والشذوذ.

ومن أهم مرتكزاتها كذلك أنها حرية نابعة من مبادئ الإسلام، وليس قياساً أو اقتباساً من غرب أو شرق.

ضف إلى ما سبق حرص النورسي على وضع الحرية في إطار الشريعة، وبإضافة الحرية للشريعة، يجعل للحرية مرجعية إلهية موحى بها، وهذه المرجعية كفيلة بأن تحمي الحرية فلا تستطيع يد العابثين وأصحاب الأهواء والرغبات العبث بها.

كما أن الشريعة الإلهية هي التي تضمن الحرية الحقة لجميع الناس بلا إفراط ولا تفريط لأنها من لدن حكيم خبير {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (١٤) سورة الملك.

- مواجهة النورسي للنظام والساسة أصحاب الأفكار الفاسدة الذين تلبسوا بغطاء الحرية وتشويههم لصورة الحرية الشرعية، وإدعائهم بأن الشريعة مصدر الاستبداد والظلم وتصحيحه للمفاهيم المغلوطة عن الحرية، ورفضه لمفهوم الحرية للتصور الغربي عند دعاه المدنية الغربية والتي تعني التحرر وإطلاق الزمام للنوازع.

هذا بالإضافة إلى قدرة النورسي العجيبة على صياغة الحرية الشرعية ووضعها بمفهوم الحسناء.

- سعي النورسي لنشر مفهوم الحرية الشرعية بين أفراد المجتمع التركي من خلال الخطب والمحاورات والمقالات وإرسال الرسائل لعدم ضياعها (أي الحرية) وقتلها ووضعها موارد الامتهان، ولقطع الطريق على من يشوهون صورة الحرية الشرعية ويسيئون للإسلام بأنه منبع الاستبداد والتعصب.

ولتحقيق هدفه ومسعاه قام بالتأطير والتأصيل لطبيعة الحرية الشرعية وتفصيل أسسها وأركانها حتى يسهل على ممارسها كيفية الالتزام بمبادئها والتعامل والتعايش معها وتمثيلها.

هذا بالإضافة إلى تصحيحه ومعالجته للمفاهيم المعكوسة عن الحرية والتي شاعها النظام والساسة بين الأفراد، وأهمها وأبرزها:-

- أن الإنسان مهما فعل في كنف الحرية من سفاهات ورذائل وفضائح لا يؤاخذ عليها

ما دام لم يضر بها الناس.

- ما تلبس في مفهوم الأفراد (وخاصة العامة منهم) أن الحرية الشرعية تعني القصاص وقطع اليد.

- يتلاقى النورسي في الرؤى والأفكار والمساعي مع الطهطاوي والأفغاني وغيرهم من الزعماء الإصلاحيين المسلمين من أجل ترسيخ وتفعيل حرية العقيدة، وإبرازهم أن حرية العقيدة شئ متأصل وراسخ في الإسلام، وأنه أرسى مبدأ لا إكراه في الدين.

ورغم هذا التلاقي فإننا نجد تبايناً جزئياً في بعض التصورات والتطبيقات للحرية الدينية:

فبينما يسعى الأفغاني لتحقيق الحرية الدينية السلطوية (الخلافة) من خلال تطبيق أحكام الشرع كواقع عملي بإقامة الحدود، وأن تنفيذها شرط أساسي لمن يريد أن ينال السلطة.

فإن النورسي يسعى لتحقيق الحرية الدينية من خلال إفساح المجال لتطبيقها في المجتمع من خلال الأفراد وليس السلطة، وذلك لمواجهة المد الإلحادي الذي تقوم بغرسه وإقامة أركانه سلطة الدولة.

فالنورسي أقصى ما يتمناه ويريد تحقيقه هو ضمان حرية العقيدة وتهيئة المناخ لمزاولتها وهذا ما دعاه للقول: " أنه لا يمكن لأي شعب (وليس سلطة) أن يعيش بلا دين "

ولعل دعوة النورسي لحرية العقيدة لم تكن قاصرة على المسلمين فقط، بل إنه يدعوا بالحرية الكاملة لكل الناس بأن يمارسوا حريتهم الدينية ويزاولوا شعائرهم، وهذا ما أكد عليه النورسي بقوله: " إن حرية غير المسلمين هي شعبة من حريتنا ".

- سار النورسي وزعماء الحركات الإصلاحية على نفس مسلك وخطى المنهج الإسلامي الذي يقرر بإزالة العوائق التي تعوق حرية الإنسان الشخصية.

ولكن يبدوا واضحاً لي أن مفهوم الحرية الشخصية مكتمل العناصر والأركان عند النورسي من غيره، ويتضح ذلك من خلال إضافته للنص بقوله " حركاته المشروعة "

وقوله " ولا يتآمر عليه غير قانون العدالة والتأدب ".

كما أنه يبرز في مفهومه أهم ما تستوجبه الحرية الشخصية.

كما أنه يلفت أنظارنا من خلال النصوص التي أوردناها - عن الحرية الشخصية - أن تقييد الحرية الشخصية يقضي على كثير من أنواع الحريات، وأهمها:-

- الحرية العلمية: وذلك يفرز الجهل والتخلف ويعوق التقدم والرقي في جميع المجالات.

- الحرية الوجدانية: وبتقييدها ينتج الكبت والإرهاب وعدم الولاء.

- الحرية الدينية: وبتقييدها ينتج التعصب البغيض الذي يتنافى أساساً مع سماحة الأديان السماوية، وهو ما يعبر عنه النورسي بقوله " إن أخصب مرتع للفكر الفوضوي الإرهابي هو الأماكن المزدحمة بالمظلومين " وهذا ما جعله يفضل الموت والقبر على تقيد حريته الشخصية.

ولعل هذا ما نراه ونسمعه في وسائل الإعلام ممن يفضلون ويقومون بتفجير أنفسهم على البقاء أحياء وهم مضطهدون وقد سلبت حريتهم الشخصية.

- يؤكد النورسي على حرية الرأي لأنه شئ راسخ وقاعدة أساسية في الإسلام، حيث منح الإسلام كل فرد الحق في إبداء رأيه عن أي طريق شاء، من أجل الوصول إلى الرأي السديد النافع، ولكي يكون لبنة في بناء المقصد والتوجه، وتفعيل دور العقل وتعزيز قيمته لكي يولد فيه فكراً حراً.

وتتجلى حرية الرأي عند النورسي ظاهرة وجلية من خلال إبداء رأيه على السلطان " عبد الحميد " لإنشاء مدرسة الزهراء، والمحاورات والمناقشات والمقالات وإلقاءه الخطب في الميادين والجوامع، وأبرزها خطبته الشامية التي ألقاها في دمشق، وكشف فيها عن الأمراض التي أصابت الأمة وطرق علاجها.

ولكن مع هذا كله فإن السلطة الحاكمة حاولت بكل ما أوتيت من قوة سلب حق النورسي في التمتع بحريته وإبداء رأيه، من خلال الحبس والنفي والعزلة، وعندما لم

تتحقق رغبتها دست له السم مراراً وتكراراً، ولكن الله أنقذه لكي ينقذ معه كلمة الحق التي ينطق بها لسانه ويسجلها قلمه.

– تعتبر الحرية الفكرية من أهم وأبرز صور الحرية وأشكالها التي جاهد النورسي لترسيخها في المجتمع التركي بعد حرية العقيدة، بدءاً من سعيه لإنشاء جامعة الزهراء لمحوا الجهل المتفشي، ثم موقفه من بعض دعاة التصوف الذين أصبحوا أبواق لمحاربة ما تبقى من العلوم العقلية والعلمية، واصطباغ الدين بصبغة الجهل والتخريف، وتفضيلهم التقليد على الاجتهاد والابتكار، وإنتهاءاً بمواجهته لدعاة الفكر التغريبي التخريبي، والذي أراد النظام فرضه على العقول دون اختيار.

ويستند النورسي في كل ذلك إلى أن الحرية الفكرية في الإسلام هي من أهم الحقوق بل هي فريضة واجبة، وأن الإسلام كما أنه جاء ليحرر الإنسان من ظلم الرق والاستعباد، فإنه عمد أولاً لتحرير الفكر من سجن الأوهام والخرافات والأساطير ولكي يعتق العقل من قيده، بل إنه يبرز إلى أن أهم ما يميز الإسلام عن غيره من الأديان، هو تأكيده على قيمة الحرية الفكرية، وحثه على التدبر والملاحظة واستشهاده بالعقل.

– سعى النورسي لإزالة ما يعوق الحرية السياسية، وذلك بإقراره للمشروطية في ضوء الشريعة، وسعيه لترسيخ مفهوم الشورى الإسلامية كبديل للمشروطية الغربية.

ويستشهد النورسي بالحرية السياسية المتأصلة في الإسلام والتي صار على هديها الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم أجمعين).

ورغم توافق النورسي والأفغاني أن الدولة لا بد وأن تكون قائمة على دين ودنيا فإن النورسي يرفض استخدام الدين كأداة للسياسة لتحقيق الأغراض السياسية ولكنه يجعل من السياسة آلة للدين.

ونحن أحوج ما نكون لدراسة هذه النظرة ونشرها على مسامع الأحزاب والحركات والجمعيات السياسية التي ترفع شعار الدين لتهيج مشاعر الأفراد ضد سياسة السلطان حين لا تلبي مطالبهم أو تتعارض أهدافهم مع أهداف السلطة القائمة.

ومن ناحية أخرى نرجوا أن يصل كلام النورسي إلى مسامع أرباب السلطة الذين

يستخدمون الدين كأداة لتحقيق مآربهم من خلال الفتاوى المطبوخة ببهارات تأويل الأدلة الشرعية.

- يصنف النورسي في مقدمة المفكرين الذين أسسوا مشروعاً متكاملاً لحرية الحوار بمفاهيمه ومعانيه، سواء كان:-

- حوار الإنسان مع نفسه.

- حوار الإنسان مع الإنسان.

- حوار الحضارات.

والمتصفح لرسائل النور يجد أن النورسي يقدم بديلاً موضوعياً لفكرة صدام الحضارات أو استبداد الحوار، من خلال عرضه مبدأ " التكامل " بدل " الصراع " و " التعايش " بدل " الإقصاء "... ويتخذ النورسي من نصوص القرآن منصة الانطلاق لحرية الحوار المؤسس على السلم والتعاون والتفاهم والتعايش، بعيداً عن النظرة العدائية، واستبداد ناصية الحوار، والدعوى بامتلاك الحق.

وهذا المشروع النورسي الذي يدعوا إلى حرية الحوار، يحتاج إلى نشره والعمل به ويحتاج من الذين فهموا مضامين الرسالة الإنسانية الإسلامية وأدركوا أبعاد المتغيرات العالمية الجديدة، أن يكونوا سفراء كالنورسي عن دينهم الوسطي المعتدل، وإيجاد الخطاب الحر المقنع لتقديم الإسلام على حقيقته، لا على الصور التي تأتي بها أحداث العنف الإرهاب وتلتقطها وسائل الإعلام لإشعال نيران الكراهية، والتهويل بالخطر الإسلامي على الحضارة وعلى الإنسانية... والإسلام بريء من ذلك، لأنه يؤمن بالإنسان كوحدة واحدة، وأنه كائن حواري، يحيا بالحوار وداخل الحوار بعيداً عن الاستبداد والإكراه والإلزام وفرض الأمر الواقع.

- يعالج النورسي أخطر قضايا العصر، وهي انعكاس المفاهيم، وقناعة السذج، وأصحاب العقول القاصرة أنها الصواب، وتفسيرهم للحرية والعمل بها على أنها التحرر من القيود والانغماس في السفاهات والملذات غير المشروعة والبذخ والإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء إتباعاً لهوى النفس.

ويشبه النورسي الفرق بين الحرية والتحرر وعدم التلاقي بينهما بثياب المرأة إذا ما لبسه رجل.

ورغم رفض النورسي للتحرر السلبي الهدام، فإنه يدعوا إلى التحرر الإيجابي البناء ومن أهم صور وأشكال التحرر التي يدعو إليها النورسي:-

- التحرر من الجهل: لأنه من أعدى أعدائنا، ولأن الإسلام يعادي الجهل، ولأنه منافي للإنسان المكرم بالعقل، والمخلوق في أحسن تقويم.

ضف إلى ذلك أن الجهل يعوق معرفة الإنسان بربه وخالقه، ويعوق معرفة الإنسان بنفسه، ويعوق عقله من الحرية الفكرية، ويعوقه من الوصول إلى الحقيقة ويفتح أمامه باب الخرافات والشبهات.

- التحرر من التقليد: وذلك لأن القرآن عندما أرسى قواعد البحث وأصول التفكير، فإنه عمل على تحرير العقل أولاً من رواسب التقليد، وعاب على المقلدين بلا وعي أو إدراك.

وذلك لأن التقليد يسوق الإنسان دون إستيعاب إلى الظن والهوى والاسترسال مع الباطل، ويجعل الإنسان أسير مكبل بأغلال من يقلده، كما أنه يمثل سداً منيعاً أمام جميع صور الحرية التي يريد الإنسان أن يتمتع بها.

بهذا كانت دعوة النورسي للتحرر من التقليد، وخاصة تقليد الغرب.

- التحرر من الأنانية والعجب والغرور: ودعوة النورسي للتحرر من هذه الأمراض لأنها إما أن تؤدي إلى السلبية والانعزالية، وإما أن تؤدي إلى الظلم والاستبداد وكل هذا ينشأ نتيجة البعد عن الله.

- التحرر من التعصب، يدعوا النورسي إلى التحرر من التعصب لأن الإسلام يمقت التعصب والتشدد، لأنه أسر للإنسان، وعائق لحرية الفكر والرأي والحوار، كما انه يقضي على كل جديد قبل أن يولد، ولأن التعصب ليس اللائق بالعقلاء.

ويبين النورسي أن التعصب مصدره الجهل، ولا يولد إلا العنصرية والأنانية والعنف

والمغالاة والهوس والسفسطة.

ويبرز النورسي ميزة الإسلام الحق التي تميزه عن سائر الأديان، بأنه دين العقل والحكمة والعلم، وليس دين التعصب والاستبداد كما يدعي الغرب الآن، وهو إدعاء باطل.

- التحرر من العنف: تعتبر هذه الظاهرة من أخطر الظواهر التي تنامت في هذا العصر (عصر الصراعات) وتيرتها، وهي آفة سلبت حرية الأبرياء، وأزالت راحة البال منهم، وحرمتهم من حياة حرة كريمة.

ويؤكد النورسي أن منبع العنف هو التعصب العنصري والأنانية.

وفي هذا البحث نبرز رفض الإسلام للعنف، ودعوته لتأمين الحريات والمحافظة على الأنفس لأنها من مقاصد الشريعة، حتى لغير المسلمين.

وسار النورسي تبعاً لمنهج الشرع، بل ويؤكد أن هذه الخصيصة تمثل جوهر الخلاف بين سياسة التحرر للمدنية الحاضرة، وبين الحرية الشرعية المنضبطة وعدالة الإسلام.

ويؤكد النورسي أن الدخول إلى دائرة العنف في القول أو العمل أمر لا يليق بالأحرار ونراه يدلل على ذلك كواقع عملي من خلال رفضه للمشاركة في ثورة الأقاليم التي يتزعمها الشيخ " سعيد بيران "، وإقناعه " حسين باشا " بعدم الانضمام لكي لا تراق الدماء وتهدر الحريات

- ينفرد النورسي (كما يبدو لي) بربطه الشديد بين الإيمان والحرية، وجعلها (أي الحرية) أثر وخاصية من خصائص الإيمان، وبالإيمان يصبح الإنسان الخليفة سلطاناً حراً لتعمير الكون، وتصبح نفسه وذاته حرة من أسر الهوى والشيطان.

فبمقدار قوة الإيمان تتلألأ الحرية، وكلما رسخ الإيمان قويت الحرية.

ويستشهد النورسي على أثر الإيمان في حرية الإنسان بما كان يرفل به (أهل الإيمان) عهد الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ويؤكد هذا ما قاله سيدنا عمر ﷺ: " لقد كنا أذلاء، فأعزنا الله بالإسلام ".

ويبين النورسي أن الحرية خاصية الإيمان وأثر من آثارها، لأن الحرية تثمن بالتربية الإسلامية، أما الحرية غير المنضبطة بالشريعة فهي خطر على الحرية نفسها إذ ستلد نقيضها حال تفريطها في الانضباط بالأحكام الشرعية.

ولعل هذا الربط مرجعه أمرين:-

- مواجهة النورسي للمد الإلحادي والأفكار المتحررة من الدين، وإزالة فكرة تقديس

الفرد، وتحرير الإنسان من أسر الأهواء والرغبات الشيطانية.

- سعيه الدؤب لترسيخ الإيمان ونشر الأخلاق الإسلامية، وعدم خروج الحرية عن إطار الشريعة، وهذا ما دعاه أن يعبر عن الحرية التي لم تلد من رحم الإيمان بأنها: ليست إلا السفاهة والرذائل، بل تلك حيوانيه وبهيمية وتسلط شيطاني ووقوع في أسر النفس الأمارة بالسوء.

- حرص النورسي في رسائله على إجلاء وبيان أن الحرية الحقيقية التي نادى بها القرآن الكريم، وجعلها مظهراً من مظاهر تكريم الله للإنسان، وقيمة من القيم الإنسانية الكبرى، تختلف اختلافاً جذرياً عن الحرية التي جاء بها الإنسان من خلال القوانين والمنظمات والهيئات المنادية لحقوق الإنسان.

ثم يعلل النورسي عن تأكيده أن الحرية مظهر من مظاهر تكريم الإنسان، بأن الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة (مادة وروح) وهذا التميز الذي مبناه على الطبيعة الازدواجية في خلق هذا الكائن، فإنها تستلزم بطبيعتها الحرية، وأن يكون الشخص حراً لا يملكه أحد من الناس، وهذا ما أكد علية النورسي بقوله: " نحن أحرار منذ القدم (أي منذ خلق الله آدم) فقد ولدت حريتنا توأماً معنا " أي أنها ملازمة للإنسان منذ أن خلقه الله وأوجده خليفة عنه على سطح هذا الكون.

- يتلاقي النورسي مع العلماء القدامى والمعاصرين أن الإنسان الحر هو إنسان مسئول مسئولية كاملة لأي فعل ما، وأينما وجدت الحرية وجدت المسئولية.

فالمسئولية تلقي بعاتقها على الإنسان الحر لكي لا يتعدى بحريته على حرية الآخرين، وللتأكيد على أن الحرية في الفكر الاسلامى إنضباط وليست فوضى.

– يعالج النورسي بأكبر قدر من الشفافية والوضوح أخطر قضية يدور فيها البحث في الفكر الاسلامى، وأقيمت من أجلها المناظرات والمحاورات، بل وقامت باسمها مدارس فكرية، ألا وهى: مسألة القدر وصلتها بالحرية المسئولة للإنسان.

فالنورسي يقرر أنه لا تكليف بلا اختيار، والاختيار يقتضي الحرية والمسئولية، أما مسألة القدر فهو ليس للفرار من التكليف والمسئولية، بل هو لإنقاذ الإنسان من الفخر والغرور، ولهذا دخل ضمن مسائل الإيمان.

ويفرق النورسي بين رؤية صاحب الإيمان لمسألة القدر والجزء الاختياري، وبين رؤية صاحب الغفلة والضلالة، وذلك لبيان أن رؤية صاحب العقيدة الصحيحة لمسألة القدر هي أكثر وضوحاً واستيعاباً وفهماً، أما رؤية صاحب الغفلة فهي ضبابية وعقله المتسخ بالإلحاد عاجز عن فهمها وإدراكها.

كما أننا نجد التوافق والتلاقي في وجهات النظر والرؤى والعرض والتحليل بين النورسي والمفكر الاسلامي " محمد الغزالي "